الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٦ الخميس ١٥ رمضان ١٣٨٣ هـ - ٣٠ يناير ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من أيام رمضان الخوالد

بقلم : أحمد حسن الزيات

خص الله شهر رمضان من بين الشهور بقيام الركن الرابع من أركان الاسلام الخمسة فيه وهو الصوم ، وميزه بيومين من أيامه كان لهما في تاريخ العالم أرفع الشأن ، وفي مصير الانسان أبلغ الاثر يومه السابع عشر من السنة الحادية والاربعين من مولد الرسول وهو يوم القرآن ، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان !

فأما يوم القرآن ففي ليلته المباركة تجلى الله لجبل النور كما تجلى من قبل لجبل الطور فأنزل الروح الأمين بالاشراقة الاولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم ، فاستعلنت منذ تلك الليلة معاني الحق ، واستبانت سبل السلام ، واستقامت موازين العدل وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، الى نور ساطع أصبحوا يهتدون به .

***

ولقد كان لصباح هذا اليوم المسفر تباشير كانت تلوح في حياة محمد صلوات الله عليه في هذا الشهر من كل عام .. كان كلما اقبل شهر رمضان هجر المهاد اللين ، وفارق الزوجة الحنون وتزود الزاد اليسير ثم صعد جبل حراء على ألف وخمسمائة متر من شمال مكة ، ليستعين بالصوم والاعتكاف والتأمل على استجلاء الحقيقة الالهية التي خفيت بين جاهلية العرب ووثنية قريش ... وهناك على قمة الجبل

المخروطي الشاهق ، وفي صمته الملهم الرائع ، وفي غيابة الفضاء الرهيب ، كان يفكر في الملكوت الدائم ويسبح للجلال القائم ، ويفنى في الوجود المطلق فاذا جنه الليل ارسل نظره وفكره في اشعة القمر او في أضواء النجوم يستطلع المجهول ويستجلي الغامض ، ويرقب انبثاق النور عن الخالق ، وانكشاف الستور عن الحق . حتى اذا اجهده التفكير وارهقته الحيرة ، أوى الى الغار الموحش النابي فيستلقي على صخره سويعات ثم يستيقظ قبل أن تغور النجوم فيتعبد ويتجه بروحه اللطيف الصافي الى الملأ الأعلى حتى تهيأ بطول الرياضة والعبادة والخلوة لتبليغ الرسالة .

***

ففي الليلة المباركة وهي ليلة القدر راى وهو في الغار رجلا جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له اقرأ . وكيف يقرأ محمد الأمي ولم يتل من قبل كتابا ولا خطه بيمينه ؟ قال للرجل بعد أن راعه ما سمع منه وآذاه ما صنع به : ماذا اقرأ ؟ قال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فقرأها ، وانصرف الرجل عنه وقد انتقشت في لوح قلبه .

***

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة في بدر . وكان المسلمون على فقرهم وضعفهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش . فكان موقف الاسلام من الشرك يومئذ موقف محنة .. كان بين العدوتين الدنيا والقصوى من وادي بدر مفرق الطريق ، فاما ان يقود محمد زمام البشرية في سبيل الله فتنجو ، واما أن يردها أبو جهل الى مجاهل التيه والضلال فتهلك ، وقفت مدنية الانسان بأديانها وعلومها وراء محمد على القليب ، ووقفت همجية الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبي جهل على الكثيب ، فكان طريق وعقبة ، ونور وظلمة ، واله وشيطان ، فاما أن يتمزق تراث الانسانية على هذا الصخر ، ويتبدد نور الله في هذا القفر ، واما ان تتم المعجزة فتفيض الحياة على الناس من هذه البئر ، ويتصل الماضي بالمستقبل من هذا الطريق ، ويبدأ التاريخ عهده الجديد من هذه الموقعة .. وما هي الا خفقة من خفقات الوحي حتى نزل الوعد بالنصر وجاءت البشرى بالجنة . فغاب البدريون في اشراق عجيب من الايمان لا يرتسم في أخيلتهم الا الحور ، ولا يصور في أعينهم الا الملائكة وقذف الله في قلوب المشركين الرعب فانهار السد الغليظ أمام النبع النابض من صخور بدر ، وانجاب القتم الكثيف عن النور الوامض من ربوع يثرب . وانكشفت المعجزة الالهية عن انتصار ثلثمائة على قرابة ألف !

ان موقعة بدر الكبرى لا تذكر بخطتها وعدتها ونفقتها في تاريخ الحرب ، وانما تذكر بنتائجها وآثارها في تاريخ السلم ، لانها كانت حكما قاطعا من احكام القدر غير مجرى التاريخ وعدل وجهة الدنيا ومكن للعرب في دورهم أن يبلغوا رسالة الله ويؤدوا أمانة الحضارة ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

***

ثم ترادفت على توالي الاعوام نعم الله على العرب في هذا الشهر المبارك حتى كان أقربها حدوثا تلك النعمة الجليلة التي أتمها الله على خير أمة أخرجت للناس باجتماع رؤسائها وملوكها بالقاهرة استجابة لدعوة الرئيس جمال عبد الناصر ليتشاوروا في أمر اسرائيل وما تبيت للعرب من عدوان وما تضمر لهم من شر . وكان تفرق الكلمة وتوزع القوة وتصدع الوحدة قد أوهم بني صهيون أن الماء قد تعكر وأن الصيد قد تيسر ، فهاج العدوان ونشط السرطان وبدأ الهجوم بتحويل ماء الاردن الى صحراء النقب لتكون مأوى لشذاذ الآفاق ونفايات الأمم من يهود الارض فيزداد بهم العدد وتجتمع لهم العدة لوثبة جديدة ومحنة أخرى .

وكان هناك في رياسة الجمهورية العربية المتحدة رقابة لا تغفل وعين لا تغفو فسمت على الاحداث ، وكبرت عن الصغائر ورأت من ضرورة الساعة أن تدعو الى هذا المؤتمر . وما هو الا بلوغ الدعوة حتى ثار الدم وغلب الحفاظ وحنت القربى ومات الحقد وصفا الجوهر وتلاقى الزعماء على صعيد الصالح المشترك والخير العام وأدركتهم رحمة الله في شهر الصفاء والاخاء والتجرد والبذل فخرجوا من الخلاف الى الوفاق ومن العصبية الى القومية ومن القول الى العمل ، وقرروا بالاجماع ان يبددوا بالحق والقوة أوهام

الاستعمار وأحلام اسرائيل . واذا اجتمعت قوى ثلاث عشرة دولة على أمر وكان فى قلوبهم الايمان والعزم، **وفى ايديهم المال والسلاح ، مضت الى غايتها مضى الصاروخ لا يصده عن هدفه صاد ولا يعوقه عن مداه عائق . لقد قال السيد جمال الدين الافغانى لزعماء الهنود وقد امره الانجليز بالرحيل عنهم :**

« **وعزة الحق وسر العدل، لو ان ملايينكم مسخت براغيث لأخرجت الانجليز بلسعها من الهند . ولو** أنها انقلبت سلاحف وخاضت البحر الى الجزر البريطانية لجذبتها الى القاع ! » فكيف اذا اجتمع اثنان وثمانون مليونا من أبناء الفاتحين وأباة الذل وسقاة الحتوف على مادون المليونين من سلالة يهوذا وحثالة الامم ؟ .

***

ان رايى فى اليهود المحتلين لايزال هو رايى فيهم يوم كتبت فى ٢٣ يوليو من سنة ١٩٤٨ اقول :

« من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى فيحمل سلاحا ويشهر حربا ويحرز نصرا ويحتل مدينة ! ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك الى الثكنة ، ومن الدكان الى الميدان ليحارب العرب على فلسطين . ويثار للفرنج من صلاح الدين !

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب فى حيفا ، وعلم يرفرف على المسجد فى يافا ودولة تريد أن تقوم فى القدس !

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الامريكان وخديعة الانجليز ، فان الثعلب يكفيه أن يشم ريح الاسد من بعيد ليجحر . وان الفار يكفيه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط . يا لله ! ماذا نرى ؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين فى البر والبحر . يلتمسون فى الشام المأوى ، ويطلبون فى مصر الأمن ، وأهلوهم مصرعون على ثرى الوطن الحبيب السليب بعد أن قذفوا فى صدر العدو آخر رصاصة ، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرة ، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق! يالله ماذا تسمع ؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا ، وأن راية صهيون تخفق على مسجد (حسن بك) ، وأن بنى اسرائيل يذبحون الابناء ويستحيون النساء فى (دير ياسين) !

***

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب ، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد ! ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود ! وماذا جرى حتى استنوق الجمل يا عرب ! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول ، ويجدون ونحن نهزل ، ويبذلون ونحن نبخل ، ويتعاونون ونحن نتخاذل ، ويتكلون ونحن نتواكل !

للجامعة العربية فى كل شهر مؤتمر ، وفى كل أسبوع مجتمع ، وفى كل يوم قرار ، وفى كل ساعة تصريح ، وفى كل دقيقة خطبة ، وكل اولئك يحمله الهواء الى المجاهدين المجهودين أصواتا لاتدفع سيارة ، ولا ترفع طائرة ، ولا تحشو مدفعا ، ولا تملأ بطنا ، ولا تبعث قوة . فاذا جاء يوم العمل نظر بعضهم الى بعض فاذا الأول واقف لأن (ترومان) لم يتقدم ، واذا الثانى ساكت لان (بيفن) لم يتكلم ، واذا الثالث متارجح لان الآخر لم يستقر على رأى !

***

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة وآراء متضاربة وقوى متفرقة ، فكنا نجد عذرا فى هذا الانقسام ، ونعزو فشلنا الى هذه الفرقة ، ونهدد خصمنا بأن فى مجتمعنا الخلاص منه، وفى وحدتنا القضاء عليه ، فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل ، ولدولنا أن تتحد ، ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ماوراء العربى اذا تجمع شمله ، وما غناء الاسلام اذا تجدد حبله .

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار وامتحان الشدائد . فاذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة . واذا ثبت معدنها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة » .

ولكن (مؤتمر القمة) غير مجلس الجامعة وجمهورية جمال غير ملكية فاروق ، وعروبة عبد السلام عارف غير شعوبية نورى السعيد، وحسب العرب أمانا وايمانا ان يقول لهم الرجل الصادق الواثق عبد الناصر : ان سنة ٤٨ لن تتكرر !

احمد حسن الزيات

مؤتمر القمة العربى

بقلم الدكتور : محمد أحمد خلف الله

واجتمع رؤساء الدول العربية ـ الجمهوريون منهم والملكيون ـ على ما بينهم من خلاف واختلاف ـ خلاف فى الرأى ، واختلاف فى المذهب السياسى ، والمذهب الاجتماعى ، والمذهب الاقتصادى .

اجتمع رؤساء الدول العربية لان هناك خطرا يتهدد الكثيرين من ابناء الامة العربية . خطرا مبعثه ان اسرائيل تعمل جاهدة على ان تحول مياه نهر الاردن لتستفيد منها فى توليد الطاقة الكهربائية ، وفى تحويل مساحات كبيرة من أراضى الصحارى لتصبح ارضا زراعية ، ولتستوعب اعدادا جديدة من الصهيونيين .

***

اجتمع رؤساء الدول بعد أن ادركوا هذا الخطر ، وبعد أن أذن مؤذن فيهم أن تعالوا نتناسى الاحقاد ولنتدارك الخطر قبل وقوعه ، ونحل المشكلات قبل تفاقمها . واستجاب الجمهوريون والملكيون على حد سواء . واقبلوا الى القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، وواسطة العقد فيما بين العواصم العربية ، ومقر جامعة الدول العربية . وكان الاجتماع الذى انتهى الى مقررات .

واجتماع الرؤساء على هذه الشاكلة له دلالات كثيرة أهمها ـ فيما نرى ما يلى :

أولا : أن هذا الاجتماع قد ضم المشارقة والمغاربة من رؤساء الدول . وهذا حدث لم يقع من قبل وخاصة فى القرن العشرين . وهذا معناه أن العقيدة القومية قد باتت تظل الجميع ، وان هذه النعرات الاقليمية قد توارت ، **وان هذه المشروعات التى كان يطرحها المستعمر تعويقا للفكرة القومية من مثال مشروعات سوريا الكبرى ، والهلال الخصيب ، قد اختفت الى الابد .**

ان رؤساء الدول العربية قد باتوا يشعرون بأنهم ابناء امة واحدة هى الامة العربية ، وأن لهم وطنا واحدا هو الوطن العربى الكبير الذى يمتد من المحيط الى الخليج ، وأن الخطر الذى يتهدد أى شعب عربى فى اية بقعة من بقاع هذه الارض العربية انما يتهدد فى الواقع الوطن العربى بأكمله .

ان العقيدة القومية التى كانت تقف أول الامر عند حدود القسم الآسيوى من الوطن العربى ، ثم صارت تقف عند حدود مصر ، قد أصبحت اليوم تتسع لكل أجزاء الوطن العربى ، وتقف حدودها عند حدود اللغة العربية .

ان هذه الظاهرة جديرة بالتسجيل فى هذا الموقف الكريم .

***

ثانيا ـ أن هذا الاجتماع قد أثبت أن الضمير العربى يستيقظ ، ويهب ، ويتوثب ، عندما توقظه الاحداث ، وانه قادر دائما على أن يرتفع الى مستوى الاحداث مهما يكن شأنها . وانه متسامح كريم يتناسى الاحقاد والضغائن فى سبيل المصلحة الكبرى مصلحة الامة العربية .

لقد جاءت الدعوة الى الاجتماع ورؤساء الدول متخاصمون متنافرون ، ولكنهم ـ فى سبيل المصلحة

ارتفعوا فوق التناحر والتباغض ، واجتمعوا لينظروا فى أمر هذا الخطر الذى يدرك الكثيرين من ابناء الامة العربية .

ان هذه هى الاخرى ظاهرة جديرة بالتسجيل .

ثالثا: **أن هذا الاجتماع قد اثبت أن ضمير الامة** العربية لم يعد يخشى هذه الدول المستغلة التى كانت تستعمره ، وتربط مصالحها بمصالح الرجعيين **والرأسماليين .**

لقد أدرك رؤساء الدول ان مصالح الامة العربية هى الهدف الذى يجب تحقيقه . اما مصالحهم الخاصة ، ومصالح المستعمر المستغل فلم تعد فى الحسبان ـ ومن هنا آثروا الاولى على الثانية .

وراحوا يدرءون الاخطار غير حاسبين حسابا لسخط المستعمر او غضبه ·

انهم ابناء امة واحدة ، وبعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ·

رابعا : ان هذا الاجتماع قد اثبت ان الضمير العربى يؤمن بالمثل العليا مثل الحق والخير والجمال

لقد اختار رؤساء الدول من الحلول اقربها الى الكمال · ففضلوا السلم على الحرب ، وفضلوا التعمير والبناء على التدمير والخراب ·

لقد كان فى وسع هؤلاء الرؤساء أن يثيروها حربا شعواء فى سبيل أن يمنعوا اسرائيل من تحقيق هذا الذى تهدف اليه من سرقة مياه الاردن ومنعها عمن هم بها أحق وأولى من أبناء فلسطين الابرياء الشهداء، ولكنهم فضلوا أن يمضوا مع خلقهم العربى الكريم الذى يفضل السلم على الحرب ، ولا يلجأ الى هذه الا مضطرا ، وفى نهاية المطاف ·

ولقد رأى رؤساء الدول أن يكون الحل للمشكلة هو التعمير والبناء فاختاروا أن يصرفوا هذه المياه فى تعمير الاراضى العربية فى فلسطين والاردن ، وفى سوريا ولبنان · وفى هذا المقام ·

تحدث متحدث عن روح العروبة فقال :

ماكانت قط اعتداء أثيما ولا حقدا لئيما ·

نشأت رسالة تكبير وتوحيد ، ودعوة تعاون على البر · ومشت فى أحلك العصور فى يمينها قسطاس العدل وفى يسارها نبراس الهدى · وما زالت تعطى باختيارها اضعاف ما أخذت بانتصارها حتى ملأت دنيا الناس حكمة ، وفنا ، وعمرانا ، ورفاها · وعادت طيبة الخبر ، جليلة الأثر ، مبكية فى تاريخ من فارقت ، مشكورة من أعقاب من حكمت ·

وهاهى ذى فى صحوها الجديد نهضة من كبوة ، واصلاح من فساد ، واستعداد للجهاد ـ تاديبا للسفاحين ، واستردادا للسلب ، وارضاء للاباء واطمئنانا للعزة · فكف بعد ذا وعفة ، ونسيان للخصومة ، ومصافحة للمغلوب · وعود الى المعروف · وضرب المثل الأعلى فى مكارم الأخلاق ·

تلك روح العروبة · وهذه تقاليدها ·

سلمها أمن وايمان وخير عميم ·

وحربها شجاعة نادرة ، وفروسية باهرة ، وتقدير للبطولة ، وعفو عند المقدرة ، ورفق بالجرحى ، ورحمة لليتامى ، وتامين لمن القى السلم ·

حرب اشبه بالمباراة الرياضية منها بالعداء ·

وفى قديم تاريخنا وحديثه أمثلة للجاهلين وحجج للجاحدين ·

اما وقد جاوز اجرام الأبالسة فى حربهم وسلمهم كل حد ، فانصح أن تكون حيل الناس فى قمعه بقدره · وأن يرحموا أنفسهم من عدو يرحمون ··

***

وتحدث نفس المتحدث عن مقياس الوطنية فقال :

للمحبة الوطنية ميزان حرارى هو حب المرء نفسه ·

اذا أهانك جارك الخباز رحت تشترى الخبز من فرن بعيد لانك تقدم كرامتك على راحة قدميك ·

واذا اعتللت استدعيت الطبيب لان صحتك أعز من جنى يديك ·

واذا سطا اللئام على دارك استقبلت الموت بصدرك لان عرضك أغلى من النسمة التى بين جنبيك ·

وقد أنزل الأعداء هذه الضربات جميعا على اشدها بوطنك فالى اى مدى بلغت غيرتك عليه بالنسبة لغيرتك على نفسك ؟

قس تعلم رتبتك فى جدول المجاهدين · وتكتشف درجة حرارتك فى ميزان الوطنية ·

من الالتزام فى محبة الوطن واهله ما يقـوله الشاعر القروى مخاطبـا فتـاة انجليزية يبدو أن جمالها السـاحر قد حرك أوتار قلبه ولكنه صحا واقصر عن الاسترسال فى احاديث الهـوى وراح يقول :

ولـو لم تكونى فرنجية
لكنت سـعادى قبل سعاد

ولـكننى عـربى المنى
عربى الهوى عربى الفؤاد

فلا تعذ لى شاعرا زاهدا
وكم هـام بالحب فى كل واد

فانى حرام على هـواك
وفى وطنى صيحة للجهاد

وبهذا الهيام ايضا يتغنى شاعر آخر ويعلن هجره للحب الا حب وطنه ٠

يا بـلادى لا تنكرينى فعندى
لك حب مخلد يا بلادى

لست ذا عـدة ولا ذا عـديد
قلبى كل عدتى فى جهـادى

انت فى يقظتى حديثى واشعا
رى وأنت الاحلام عند رقادى

ما تغزلت فى سـعاد وهند
أنت هنـدى وزينبى وسعادى

دكتور
محمد احمد خلف الله

أخبار أدبية

● **يقيم شعراء العروبة ندوة الشعر الشهرية -بدار جمعية الشبان المسيحية - وذلك فى مساء الجمعة ١٤ فبراير ويشترك فيها كل اعضاء رابطة شعراء العروبة ..**

● **ديوان قال المساء للشاعرة ملك عبد العزيز -سيصدر خلال الشهر القادم ..**

● **نفذت آخر اعداد مجلة الشعر ..**

● **سيصدر خلال شهر رمضان - ديوان -وعلى الارض السلام - للشاعر محمد الجيار ٠**

● **يقيم الاتحاد الاشـتراكى العربى بالزيتون مهرجانا بمناسبة نجاح مؤتمر القمة فى السـاعة الثامنة مسـاء الجمعة ٣١ يناير - يشـترك فيه الاساتذة - على الجندى - د٠ عفيفى محمود ٠ عبد الله شمس الدين - ابراهيم عيسى - محمدالجيار ومن الشاعرات شريفة فتحى - ونجاة شاور ٠**

● **تقرر زيادة عدد النسخ المطبـوعة من مجلةالقصة بنسبة ٢٥٪ والمعروف انها نفذت بعدصدورها بساعات ..**

العجز في الدنيا خذلان للدين

بقلم : الشيخ محمد الغزالي

تجديد الاسلام وتيسير نفع العالمين به يقتضى النظر الصائب المرن فى اختيار الوسائل العادية التى تحقق اغراضه وتثبت مبادئه ..

واغلب هذه الوسائل من شئون الدنيا التى وكلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علمنا وترك لنا حرية التصرف فيها .

وهذه الشئون تحتاج الى ذكاء نافذ ، وخبرة واسعة ..

ثم ان العلم بها ليس وقفا على الامة الاسلامية وحدها ، فان قارات الارض مشحونة باجناس الخلق ، وهم يحيون فوقها كما نحيا .

وقد يتساوون معنا أو يتخلفون في الاحاطة بهذه الشئون الدنيوية .

وقد يسبقون دون عائق ! فمادام العلم بشئون الدنيا مقترنا بحرية العقل ، وقدرته على التصرف والابتكار ، فلن يتوقف الناس عن الاجادة فى هذا المضمار !! وما الذي يمنعهم ؟

وقد يبدو الأمر تافها او غير مثير لقلق !! غير اننا اذا علمنا مدى توثق الروابط بين التفوق المدنى واغلب المبادىء لمسنا مكمن الخطر ..

فالامة التى تعيش فى دنيا من بقايا العصر الحجرى لن تغنى عنها ارفع المثل ولا أشرف المبادىء اذا دخلت فى صراع مع امة أجادت فنون السلام والحرب !!

والعجزة فى فهم الحياة من المسلمين عبء على دينهم فى الحقيقة ، وربما كانوا مصدر شر عليه ، وادمانهم للصلاة والصيام لايغنى عنهم فتيلا امام الله يوم الحساب . ولاينقذهم فى الدنيا من هزائم تسحق ايمانهم على ظهر الارض وترغمه على التوارى او التلاشي عاجلا او آجلا .

فان سنن الله فى كونه لاتحابى جاهلا بها ، ولا مقصرا عنها ..

وينبغى ان يعرف المسلمون معرفة اليقين ان التفريط فى شئون الدنيا ، والقصور فى خبرات الحياة ازراء بالدين ، بل ازهاق لروحه ، فضلا عن السقوط الادبى الذى يلحق هؤلاء المفرطين القاصرين بتقلبهم فى مستوى من العيش موسوم بالتأخر والعناء .

ان الجهاد لابقاء الحق مرفوع الراية جزء من عمل الامة الاسلامية ، وركن من رسالتها والدين قد يتدخل بوضوح لتصحيح النية المصاحبة ، وغسل القلوب من الاثرة والشره والبغى والاستعلاء .

اما وسائل القتال ، واسلحة النضال ، فهذه ليست له فيها تعاليم ، لأنها من شئون الدنيا التى يتنافس اهل الارض على اختلاف مذاهبهم فى تجويدها وتطويرها ولايتدخل دين ما فى عددها واحصائها .

الدين قد يامر بالتداوى من العلل الوافدة .. ولكنه لايتدخل فى صناعة الادوية ولا فى تركيب عناصرها وتحديد مقاديرها ، لان هذه من شئون الدنيا التى يدعها للفكر والتجربة ، والاختبار والاختيار ..

ان الميدان مفتوح امام النشاط الانسانى الحر يخطىء ويصيب ، ويتقدم ويتاخر فى هذه الاعمال المدنية العادية .

واقحام الدين فى هذه المجالات بالحظر والاباحة ضرب من الجنون ، وغاية ماترجوه الانسانية المهذبة من هذا النشاط الطبيعى ان يسخر حصاده الاخير فى الخير لا فى الشر ..

وقد كان المسلمون الاوائل على بصيرة من هذا الامر ، فتركوا لطبائعهم — او طبائع الحياة فيهم وفى غيرهم — ان تبتكر وتجيد ، وتوسلوا بما افادوا فى خدمة دينهم دون تكلف .

وافتى العلماء باتفاق ان اقامة الحرف

والصناعات فريضة على المجتمع كله ، يأثم بتركها ، وعلى الافراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم ورغائبهم ان يجودوا فيها ، ويخدموا امتهم ورسالتهم بها ..

وصحيح ان العرب طلعوا على العالم بالاسلام ، وكان الناس فقراء الى العلم به والدخول فيه ، لكن العرب ماكان عليهم من حرج ان يتعلموا من الناس انواع الخبرة التى لم تهدهم اليها مطالب الصحراء ومجامع البادية .

وقد مهروا فيما وقفوا عليه ، واستغلوه فى نشر الاسلام وحرب اعدائه .

من اين لابناء الرمال صناعة السفن وقيادة الاساطيل وحرب البحار ؟

ان العرب بالفطرة الصافية ، والانبعاث العادى لخدمة الاسلام اتقنوا هذا كله ، وراوا دون انتظار نص موجه أن كتابهم لايعلو فى عالم يجهلون شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ..

يقول ابن خلدون : كان الروم مهرة فى ركوب البحر ، والحرب فى أساطيله ، ولم يكن العرب اول الامر مهرة فى ركوبه ، فلما استقر الملك لهم ، وشمخ سلطانهم صارت امم العجم تحت ايديهم ، وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، فاستخدموا فى حاجتهم البحرية كثيرا من هؤلاء وانشأوا السفن وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح . واسسوا دارا لصناعة الآلات البحرية بتونس .

ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيا .

ثم يقول ابن خلدون : ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم ــ البحر الابيض المتوسط ــ وان اساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس . والرومان والصقالبة والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم ــ امام البحرية العربية ــ ولاتحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت عليهم كفراء الاسد على فريسته .

ويقول ابن هانىء الاندلسى يصف اسطول العرب فى البحر الابيض :

اما الجوارى المنشآت التى سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد

قباب كما تزجى القباب على المها
ولكن من ضمت عليه اسود

عليها غمام مكفهر صبيره
له بارقات جمة ورعود

انافت بها اعلامها وسمالها
بناء على غير العراء مشيد

من الراسيات الشم لولا انتقالها
فمنها قنان شمخ وريود

من الطير الا انهن جوارح
فليس لها الا النفوس مصيد

من القادحات النار تضرم للصلى
فليس لها يوم اللقاء خمود

اذا زفرت غيظا ترامت بمارج
كما شب من نار الجحيم وقود

فافواههن الحاميات صواعق
وانفاسهن الزافرات حديد

لها شعل وفوق الغمار كأنها
دماء تلقتها ملاحف سود

تعانق موج البحر حتى كأنه
سليط له فيه الذبال عتيد

فليس لها الا الرياح أعنة
وليس لها الا الحباب كديد

ولله مما لايرون كتائب
مسومة تحدو بها وجنود

اطاع لها ان الملائك خلفها
كما وقفت خلف الصفوف ردود

وما راع ملك الروم الا اطلاعها
تنشر اعلام لها وبنود

ولو أن عقلية المسلمين فى القارات الثلاث بقيت على تالقها القديم لضمت الى سبقها فى البر والبحر سبقا آخر فى اجواء الفضاء ، ورحلات الكواكب .

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ، ولكن الرماح اجرت

والامر الذى نريد فتح الابصار والبصائر عليه مثنى وثلاث ورباع ، أن العناية بهذه الوسائل العادية والشئون الدنيوية علما وتطبيقا ، عبادة لله ، وحياطة للدين ، وأن من الخيانة للثقافة الاسلامية اهمال هذه الآفاق الخطيرة .. لقد وقر فى اذهان العامة ان استدبار الحياة دلالة اقبال على الآخرة وأن الجهل بها ضرب من الزهد ، وتخفف من الاثقال ، وبعد عن اللغو ٠ وهذا تفكير ساقط ، وجهالة مبينة ، وطعنة نافذة الى صميم الاسلام وغيم كثيف ينتشر فى مستقبله ، ويهدد بقاءه ..

ان الاسلام لايستعيد امجاده الاولى الا اذا استعادت امته فقهها فى علوم الارض كما تستعيد فقهها فى علوم السماء ، والا اذا جودت شئون العمران كما تجود التفسير والحديث ..

ان هذه المعارف الضرورية لبناء الامم ، واقامة الحضارات فرائض مؤكدة اسبق فى حياة المسلم من نوافل الاذكار ، والقراءات ، فان الله لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ..

والرجل الذى يشغله ورد ما عن اتقان صناعة او زراعة ، او تجارة ، او يغريه بالتقصير فى هندسة او طب او كيمياء ، رجل جهول بالاسلام .

وقد ينطبق عليه المثل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ..

اما الذى يقصد بجهده فى هذه المجالات خير الدين والناس فهو العابد حقا ، وان صمت لسانه وطال منامه ... !!

ان البراعة فى الشئون المدنية والمعارف الكونية تقترب بصاحبها من مصادر اليقين الحق ، وصدق المعرفة بالحياة وبارئها الاعلى ، فان الاسلام عقد عروة وثقى بين الايمان بالله ، والتأمل فى ملكوته والافادة منه .

والمسلمون عندما تزداد خبرتهم بفنون الحياة المختلفة يتجاوبون مع منطق دينهم وهم لم يهبطوا دون منزلتهم الا عندما استسلموا للخمول والاوهام ٠

ان من الضروريات الدينية الماسة ان يبرع المسلمون فى الدراسات الكونية ، ماظهر منها ومابطن وان يسابقوا غيرهم الى الاحاطة بالمادة وخصائصها وقوانينها ، والا يكون حظهم من ذلك الوقوف على مابلغته البشرية فحسب ، بل يجب ان يتحسسوا ابواب المجهول ويعالجوا اغلاقه حتى تنفتح لهم ويستأنفوا سنة آبائهم فى خدمة المعرفة وكشف الحقائق ونفع الكافة ..

على ان المهم جعل هذه السيادة العلمية فى خدمة المثل السماوية الرفيعة وتسخيرها لنفع العالمين بوحى الله ، فالتقدم العقلى ليس هدفا ذاتيا وانما هو اداة لقيام الناس بحقوق رب الناس ..

ونحن نريد بناء حياتنا على قواعد رسالتنا العتيدة والا يخدعنا ما يلقاه الالحاد من نصر موقوت فى بعض الميادين ، كما لا يخدعنا ما يقارن التقدم الغربى احيانا من مذاهب شاردة وآراء فاسدة ..

ويعجبنى قول الدكتور محمد حسين : لا يبلغ العرب درجة الاستاذية فى هذه العلوم الجديدة ـ التى اذلهم عدوهم بتفوقه عليهم فيها ـ الا اذا أصبحت هذه العلوم ملكا لهم ٠ وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون انها علوم عربية الا اذا قرءوها بالعربية وكتبوها بالعربية ٠

وسيظلون يحسبون انهم غرباء عليها ومتطفلون على اصحابها طالما ظلوا يقرءونها ويكتبونها بغير لغتهم ٠٠٠

الخصائص الفنية للأدب الصوفي

بقلم : عبد الكريم الخطيب

هناك ثلاثة أنماط من الادب الصوفي ، اختلط بعضها ببعض، فصارت هي الوجه الذي يواجه الناس من هذا الادب ، على حين أن الادب الصوفي الخالص منها لا يمثل في هذا الوجه الا بعضا منه . على حال لا تعرف أين حدوده في هذا الوجه ، ولا أين مكانه منه !

ودراسة الادب الصوفي في تلك الصورة فيه تشويش على هذا الادب ، وتلبيس على طالبه ، وعلى الدارس له، ثم فيه مجافاة للحق ، حين يوزن الادب، ويحكم له أو عليه بهذا الميزان .

وانه لكي يعرف الادب الصوفي على حقيقته ، ولكي تعرف منه مذاهب المتصوفة وآراؤهم، وحقيقة معتقدها ، ينبغي أن نعزل هذه الاخلاط من الادب بعضها عن بعض ، وأن نخلص بالادب الصوفي الخالص من بينها ، فننظر فيه على الوجه الذي سواه اصحابه عليه .. وبغير هذا لا يستقيم ميزان العدل أبدا في شأن الصوفية والتصوف، ولا ينتفع بشيء من هذا الادب على الوجه الصحيح الذي له !

والامر في هذا سهل ميسور - بادي الرأي - لا يحتاج الى كثير من الجهد والمعاناة .. وذلك بعمليتين صغيرتين .. يقطع باولاهما العمل الادبي الذي كان للاديب المتصوف قبل أن يدخل التصوف، فلا يحسب هذا الادب في أدبه الصوفي ، ولا يضاف اليه .

واما العملية الثانية فيوكل بها التفرقة بين الادب الصوفي الذي كان ثمرة المراحل الاولى للمتصوف في حياته الجديدة هذه والادب الذي جاء بعد هذه المراحل .. اي بعد أن ثبتت قدم المتصوف في الطريق، وبعد أن انس بحياته الجديدة ، وسكنت نفسه اليها .

هناك اذن ثلاثة أنواع ، أو أشكال من الادب لرجل التصوف ، الذي يكون في الوقت نفسه رجل أدب .. شاعرا أو ناثرا ..

فهناك الادب الذي كان له قبل أن يتصوف ، ثم هناك لونان لادبه الصوفي بعد أن طرق باب التصوف ، ودخل في أهله.. أدب كان منه في أول الطريق.. ثم الأدب الذي كان نتاج تجربته الصوفية، وثمرة حياته في التصوف ، بعد أن رسخ فيه ، وأصبح من رجالاته .

كما أشاركه الأسى لانشغال هيئاتنا - بدل ترجمة هذه العلوم - بترجمة بعض الفلسفات والآداب والافكار التي ان حسن اختيارها - ما تجيء الا في المرحلة التالية ، قال :

ولو أنصف كل القائمين على الترجمة في هذا البلد مثل ادارة الثقافة بوزارة التربية ومجلس الآداب وغيرهما لجعلوا كل همهم مصروفا الى نقل العلوم التجريبية والرياضية وحدها لا يشتغلون بترجمة غيرها حتى نستكمل نقصنا فيها، لأن الاشتغال بنقل كتب الأدب والفلسفة والتاريخ والتربية والأخلاق وما شاءوا من الثقافات الانسانية على هذا النحو الذي تسوده الفوضى وسوء الاختيار - بل سوء القصد في كثير من الاحيان - يضر مرتين ، يضر بافساد أذواق شبابنا وتدمير كياناتهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحوا غرباء بين قومهم ، ثم يصبح قومهم بعد قليل هم الغرباء بينهم حتى يكثر عددهم ويكثف جمعهم ، ويضر مرة ثانية بتبديد الجهد والمال من غير وجهة ، وصرف العرب عن الطريق الصحيح الى تحررهم ثم سيادتهم . ولو كان لي أن أقترح على اللجان الثقافية والهيئات الجامعية على اختلافها ، لاقترحت أن يبدءوا بترجمة كتب المراجع في الطب والهندسة والعلوم والزراعة التي يدرسها طلاب الجامعات العربية. فهم بذلك يصيبون غرضين أنهم ييسرون سبل العلم للطلبة العرب ويخففون عن آبائهم بعض الأعباء، باغنائهم عن الطبعات الاوربية الباهظة الثمن ، والتي لا يتيسر وجودها في كثير من الاحيان ، لان اصحابها يستطيعون أن يمنعوا تصديرها الينا حين يشاءون . وهم في الوقت نفسه يخطون بهذا العمل خطوة واسعة نحو تعريب هذه العلوم التي لا تزال تدرس في جامعات مصر باللغة الانجليزية .

ومن السهل الميسور – كما قلنا – أن نضع يدنا على أدب كل مرحلة من المراحل الثلاث تلك فى حياة رجل التصوف .. حياته قبل التصوف ، وحياته فى اول طريق التصوف، ثم حياته بعد هذا ، ولا يحتاج الامر الى أكثر من النظر فى «ترجمة» حياة الصوفى ومعرفة خط سيره فى الحياة ، ومتى تحول الى التصوف ، ومتى لبسته أحوال المتصوفة .. وعلى ضوء هذه النظرة يمكن أن نتعرف على أدب كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ، وأن نضيفه اليها .. اذ هى فى الواقع « حيوات » لا حياة واحدة لكل حياة أدبها ، واللون الغالب على هذا الأدب فيها .

***

ولكن أينتهى الامر هنا عند هذا الحد ، وهل اذا استطعنا بهاتين العمليتين أن نظفر بالادب الصوفى الخالص – أيضمن ذلك لنا فهما صحيحا للادب الصوفى ، وحكما عادلا فيه ؟

وهذا السؤال يسلمنا الى سؤال آخر هو : اذا كان من الممكن الميسور أن نضع حدودا بين معالم « الحيوات » الثلاث للاديب الصوفى ، ثم اذا كان من الممكن الميسور أيضا أن نضع حدودا مميزة فاصلة للنتاج الأدبى لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث – فهل يمكن أن نجعل كل مرحلة منها وحدة قائمة بذاتها ، فى ذات الاديب الصوفى وفى أدبه معا ؟. بمعنى أن يكون هذا الاديب ثلاثة أدباء ، لكل واحد منهم أدبه منقطعا عن غيره ؟ .

والجواب على هذا السؤال يضعنا أمام « قضية » يدخل فيها الادب كله ، ومعه الادب الصوفى !!

وتصوير هذه القضية – فى ايجاز – هكذا :

المعروف أن العمل الادبى ينظر اليه على أنه فن من الفنون الجميلة ، الرفيعة .. مادته الكلمة التى يشكل منها الاديب صورا تتجسد فيها المشاعر ، والعواطف ، والافكار .. مشاعر الاديب ، وعواطفه، وافكاره ، التى تصبها الحياة فى كيانه ، باحداثها وموحياتها .

وهذه النظرة الى الادب –الصوفى وغير الصوفى– هى النظرة الى الفنون الجميلة كلها ، وان اختلفت مواد بنائها . فكانت لحنا فى الموسيقى كلها ، وصوتا فى الغناء ، وحجرا فى النحت ، ولونا فى الرسم ، وحركة فى التمثيل .. وهكذا .. فليست المادة فى ذاتها شيئا ذا بال فى المحتوى الجمالى للعمل الفنى،

وانما يرد ذلك كله الى تلك الانطباعات التى ينفضها الفنان على مادة فنه .. وهذه الانطباعات هى ذوب وجدان الفنان ، وهمس خاطره ، ووسوسة رؤاه ، ونفثة روحه ، ونبضة قلبه !! فليس العمل الفنى شيئا الا اذا نفخ فيه الفنان من روحه ، والا اذا كان فى نفخته تلك من القوة ما يندس فى العمل الفنى ، ويمده بطاقات حيوية ، تقيم منه كائنا حيا ، تموج فى كيانه الحياة ، وتترقرق على قالبه او « هيولاه » سيما الحياة وأمارات الاحياء !

والفنان – أديبا ، كان ، او مصورا ، او موسيقيا، او نحاتا ، او ممثلا – يجىء الى عمله الفنى بدعوة من اعماقه، يستجيش لها وجوده كله ، ويجمع لها كيانه جميعا .. فاذا وصل الى عمله الفنى ، واتصلت بينهما الاسباب ، عاش مع هذا العمل ، وغذاه من ذات نفسه الى أن ينضج ويتم خلقه، فلا يملك حينئذ الا أن يدفع به الحياة ، كما تدفع الحياة بمواليدها ، بعد أن تستكمل وجودها ، وتستوفى خلقها .

ذلك هو العمل الفنى .. فى ابسط صوره ، وفى اكملها .. فى حال معا .

وتلك هى صورة المسالة قبل ان تكون قضية !

ثم هى لا تكون قضية حتى ينفصل العمل الفنى عن صاحبه ، ويسعى فى الحياة مع الناس .. اذ الحقيقة الفنية ملك لصاحبها ما دام ممسكا بها فى كيانه .. فى قلبه ، أو عقله ، أو بين يديه أو فى فمه .. أما اذا انطلقت من هذه المجالات الذاتية لصاحبها ، وتحركت فى واقع الحياة – فقد أصبحت منذ يومها هذا شأنا من شئون الحياة ، فى مواجهة الناس جميعا .. يقبلون عليها أو يعرضون عنها ، ويرضون أو يسخطون ، ويعجبون أو يسخرون .. وبهذا يدخل العمل الفنى فى دائرة القضايا التى يختلف فيها الناس ، ويختصمون حولها !

واذن فالقضية التى بين ايدينا – حسب هذا التصوير ، وعلى هذا الفهم – هى :

اينظر الى العمل الفنى فى ذاته ، منقطعا عن صاحبه « الفنان » ، وعن كل شىء يتصل به ، وغير منظور الى ظروف الزمان ، واحوال المكان ، التى لابست هذا العمل واحتواه زمانها ومكانها ؟.. ثم ايكون الحكم على العمل الفنى – بعد هذا – مقيما بقيمته هو فى ذاته ، بعيدا عن أى شىء سواه ..

حتى صاحبه الذي نشأه ورباه على عينه ! فمثلا — هل يعنينا من القصيدة أولا وبالذات ما ضمت عليه من معان ؛ ومشاعر وصور .. فلا نعرف قائلها ، ولا نتبين وجهه ، ولا نتعرف الى ملابسات الاحوال والظروف التى دفعت بها الى الحياة ، واطلقتها من كيان صاحبها ؟

وهل نرضى من اللحن الموسيقى ما يشعه من اصداء يرسلها عبر الفضاء ، فتتشكل انغاما ، تناجى الارواح ، وتناغى الضمائر ، وتهدهد القلوب — دون أن نتمثل صاحب اللحن وخالقه ؟

هل يكون بحسبنا من التمثال انه ينطق وهو جماد ، وينبض بالحياة بلا روح ، فنقرأ فى قسمات وجهه ، واوضاع جسده — المعانى التى يجسدها ، الكائنات التى يمثلها .. مسفرة عن وجهها مبينة عن حقيقتها ، مهمهمة بسرها ؟

اهكذا يكون بحسبنا من العمل الفنى ما أودع فيه الفنان من قوى خالقة — ضعيفة كانت أو قوية ، دميمة أو جميلة ، باهتة أو واضحة — أذلك هو حسبنا من الاعمال الفنية ؟ وهل اذا وقفنا بالعمل الفنى عند هذا الحد أيمكن أن نراه رؤية كاشفة ، وان نرى ما انطبع على وجهه من همسات ولمسات ، وما اندس فى كيانه من خفقات وخلجات ؟

فى الاجابة على هذه الاسئلة رأيان متقابلان .. بل متناقضان ..! نعم ، ولا .. وللقائلين بأى من القولين منطق وحجة !

فهناك من يرى — وفى اصرار — أن العمل الفنى ، والادب بالذات — لايمكن أن تتضح الرؤية الصحيحة له الا اذا جاء محمولا بيد صاحبه ، موسوما بميسم مولده ، زمانا ومكانا .. فاذا امكن ان يجىء الى الحياة ويعرض على الناس مستقبلا بذاته ، مجهول النسب ، مقطوعا عن الزمان والمكان — اذا أمكن ان يجىء عمل فنى على هذا الوجه — فهو عمل ضائع ، لا بد أن يضل طريقه فى الحياة ، وان يحيا غريبا فى الحياة . وكثيرا ما يذهب البد البل ، وان كان فى حقيقته عملا طيبا ناضجا !

وذلك أشبه بالزهرة الندية الناضرة ، تظل هكذا حية فواحة بالشذى العطر مادامت متصلة بشجرتها ، فاذا انفصلت عنها لاتلبث طويلا حتى تذبل ، وتجف ، وتنحل !

والعمل الفنى — فى حقيقته — كائن حى ، نفخ فيه الفنان من روحه ، وغذاه بعاطفته ووجدانه ، وعواطف الفنان ووجداناته ان لم تكن ينابيعها قد تفجرت من احداث عصره ، واحوال مجتمعه ، فلا اقل من أن تكون هذه الاحداث وتلك الاحوال قد حملت هذه الينابيع ، وجعلت لها مسالك ومسارب فى محيطها ، فتأثرت بهذه الاحداث والاحوال ، واصطبغت بقليل او كثير من الوانها ..

فانفصال العمل الفنى عن صاحبه ، وعن المؤثرات التى تأثر بها هو عملية بتر عضو سليم فى جسد سليم .. اقل ما فيها أنها تشوه الجسد ، ولاتخلص بالعضو المبتور حيا نافعا !

والنظرة الاخرى لعمل الفنان ، وهى التى لايعنيها من العمل الفنى الا ما اشتمل عليه فى كيانه من قوى ذاتية ، تمسك وجوده ، وتحفظ عليه حياته ، وتضمن له البقاء بقدر ما فيه من طاقات الحياة هذه النظرة تذهب فى اتجاه مضاد للنظرة السابقة .. فلا تنظر الا الى العمل الفنى فى ذاته ، بعيدا عن كل ما يتصل به من قريب أو بعيد .

وأصحاب هذه النظرة يحتجون لنظرتهم هذه بحجج .. منها : أن العمل الفنى الذى يستحق أن يحمل هذا الاسم — فى نظرهم — وأن يأخذ مكانه فى موكب الفنون ينبغى أن يحمل فى كيانه من قوى ذاتية ما يستغنى به عن أى حامل يحمله بين يديه ، كما تحمل السلع ، وينادى عليها فى الاسواق ، ويدلل على صفاتها بنسبتها الى صانع بعينه ، أو بلد بذاته ، وان تكن هى معطوبة ، أو فاسدة ! ثم ان أصحاب هذه النظرة يستشهدون بالواقع — واقع الفنون الجميلة ذاتها .. فيقولون : كم من آيات الفنون الجميلة وروائعها من آثار النحت والتصوير مثلا قد خلدت على الزمن ، وقد حوتها متاحف الفنون ، واقامتها فى اكرم مكان فيها ، ثم هى مع هذا مجهولة النسب لا يعرف صاحبها ، ولا يستدل على زمان مولدها أو مكانه ؟

فالعمل الفنى — فى حدود هذه النظرة — من شأنه أن يستقل بوجوده ، وذلك فى مقام تقييمه من الناحية الفنية الخالصة .. اما ان يدرس لغايات خاصة غير التذوق الفنى كالتعرف على مظاهر الحياة فى عصر ما — فهذا ليس من صميم العمل الفنى ، ولا من مقاصده .

هذان هما الرأيان المختصمان فى العمل الفنى ..

موصولا بصاحبه ، وببيئته في زمانها ومكانها ، او منقطعا عن كل أولئك ، مستقلا بوجوده ، مستغنيا بذاته ٠

وكلا طرفى قصد السبيل ذميم !

فالذين يرون اضافة العمل الفني الى صاحبه ، وعرضه على ملابسات الحياة التى كان يعيش فيها ، ويتقلب عليها ــ هؤلاء يبالغون كثيرا فى البحث عما وراء العمل الفنى ، والاستغراق فى استجلاب كل ما يتصل به من قريب أو بعيد ؛ حتى ان الذى يريد أن يتصل بالعمل الفنى ــ أى عمل فنى ــ على حسب هذا المفهوم ، لا يلتقى به لقاء مواجها ، ولا يسمح له بالنظر فيه ، ومطالعة آياته الا بعد أن يدور حوله دورات طويلة مرهقة ، والا بعد أن يخوض اليه هذه اللجج المتدافقة من أحداث الحياة التى احاطت به ، وبصاحبه يوم مولده ، وما قبل يوم مولده بجيل أو اجيال ٠٠٠ وهذا من شأنه ــ بلا شك ــ أن يذهب بكثير من القوى الروحية والنفسية التى كان ينبغى أن تحتشد فى « حرم » العمل الفنى فى تأملات ساجية ، وفى سبحات خاشعة ، تستنزل من سماواته العلا ما يحمل فى كيانه من فرائد الحسن ، وعرائس الجمال !

وكذلك الذين ينسلخون عن هذا المذهب انسلاخا كاملا ، فيلقون العمل الفنى وحده ، مجردا من كل شيء يصله بالحياة ، منقطعا عن ميراثه من أهله ومن عصره ــ وهذا من شأنه أيضا أن يضفى على العمل الفنى ظلالا من الوحشة حين ينظر اليه وهو ملقى فى هذا التيه الذى لا حدود له !

والرأى هو أن يكون للعمل الفنى ذاتيته وشخصيته على أى وجه من وجوه النظر تنظر بها اليه ، شأنه فى هذا شأن الكائن الحى الذى يظل ــ مادام حيا ــ محتفظا بمشخصاته ومقومات وجوده، وان حمل ما حمل معه من ميراث بيئته ، ومؤثراتها فيه ٠٠ ٠

فجوهر العمل الفنى وصميمه هو ما ضم عليه القالب المحسوس المحدود الذى يحوى هذا العمل٠٠ ثم ما كان وراء هذا القالب مما صحبه وتلبس به فهو أشبه « بالترجمان » الذى يطوف بك بين تلك الآثار الفنية الخالدة ، ويكشف لك عن وجه كل أثر منها، ببضع كلمات ، حفظها ورددها على الاسماع٠٠ آلاف المرات ٠٠ ولربما كان قليل من هذه الكلمات قد ينتفع به فى هذا المقام وقد يرفع لعينى الناظر فى هذه الآثار آفاقا من الرؤى والخيالات ، تتحرك فى مجالها هذه الآثار الصامتة ، وتتبدل حالا بعد حال فى لمحات خاطفة ٠٠ومع ذلك ، فان الثرثرة الكثيرة هنا قد تفسد على « الزائر » اجتماع خاطره ، وجلال صمته ، فيفوته من معطيات تلك المشاهد أضعاف ما حصل من هذا الحديث التاريخى الطويل !

ونستطيع الآن بعد هذه الوقفة القصيرة مع العمل الفنى ــ نستطيع أن نجيب على سؤالنا الذى سألناه آنفا ٠٠ وهو :

« اذا كان من الممكن الميسور أن نضع حدودا بين « الحيوات » الثلاث للاديب الصوفى ، ثم اذا كان من الممكن الميسور كذلك أن نضع حدودا مميزة فاصلة للنتاج الادبى لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ــ فهل يمكن أن نجعل كل مرحلة منها وحدة بذاتها ٠٠ فى ذات الاديب الصوفى ، وفى أدبه ٠٠ معا ؟

والجواب الذى نراه ، ليس « بنعم » وليس « بلا» وانما هو نعم ، ولا ، فى حال معا ٠

« فنعم » لان حياة رجل التصوف حياتان متغايرتان ٠٠ حياته قبل التصوف وحياته فى التصوف ٠٠ وشأنه فى أى منهما غير شأنه فى الاخرى٠٠ فى وجوده العقلى ، والنفسى ، والروحى، فضلا عن وجوده المادى .. فهو وان عاش فى جسد واحد الا أن هذا الجسد لبس شخصيتين مختلفتين أشد الاختلاف٠٠ ولكل حياة من هاتين الشخصيتين ثمارها ومحصل غرسها فى الحياة ٠٠

واذن فنحن ان صح لنا أن نحسب أدب الصوفى حال تصوفه أدبا واحدا ، فلا نجعله أدبين ــ فانه لا يستقيم معنا أن نجعل أدبه كله ــ ما قبل التصوف وما فى التصوف ــ عن منزع واحد ، وشخصية واحدة !

هذا ، وليس من معنى هذا القول ان نسقط ــ فى دراستنا للادب الصوفى ــ وجود المتصوف كله قبل التصوف ، وان نجعل تاريخ ميلاده هو يوم خرج من عالمه الذى كان فيه ودخل مع المتصوفة ، وعاش فى عالمها ــ لا ، اننا لا نريد من هذا القول أكثر من أن نرصد حياة رجل التصوف ، وان نجعل لادبه قبل التصوف حسابا ، ولادبه فى التصوف حسابا أو حسابين ! وهذا أقل ما فيه أنه يضع بين أيدى الدارسين أدبا صوفيا خالصا يتبين منه دارس هذا الادب الوجه الصحيح له٠٠ فى هذا المجال يستطيع الدارسون أن يردوا موارد هذا الادب ، وأن يرزقوا منه رزقا كريما طيبا ٠

فن التراجم، تاريخه وأصوله

تاريخ التراجم في أوروبا

للدكتور ماهر حسن فهمي

ترجع فكرة التراجم الى البحث عن الخلود . ومنذ خمسة آلاف سنة ترك الملوك المصريون القدماء فى مقابرهم تذكار شهرتهم مع رموز ثروتهم ، ليضمنوا مرورهم الى عالم الخلود . وطبيعى ان ذلك لا يدخل فى فن الترجمة حسب المفهوم الحديث ، لانهم لم يحاولوا وصف شخصياتهم أو مراحل حياتهم ، ولكن هدفهم له صلة بالتراجم ، لانهم ارادوا ان يصونوا فى الارض وفى السماء ، مجد أفراد معينين . ومما لاشك فيه أن التراجم الاغريقية ذهبت الى ابعد من حيوات البابليين والمصريين ، ولكن الاغريق لم يهتموا بكتابة التراجم ، بالرغم من اقتناعهم بقيمة الفرد ، وأهمية تطوير مواهبه ، فقد كانوا ايضا مقتنعين بفكرة عجز الانسان أمام قوة القدر الغامضة ، وقراءة شعرهم تؤكد ذلك . وكانت اول مدرسة تهتم بفن التراجم هى المدرسة المشائية (اتباع ارسطو) التى اسسها ثيوفراسطوس المتوفى عام ٢٨٧ ق.م ، فقد أشاعت الوعى بالنسبة لهذا اللون من الاعمال الادبية ، وتقدمت بالمنهج وصقلت الاسلوب ، ولكنها لم تلتفت الا قليلا للحقيقة .

وكان انتصار الرومان على عالم البحر المتوسط ، يعنى بالطبع انتشار الثقافة الاغريقية ، ولكن الرومانيين كانت لهم تقاليدهم الخاصة ، التى اثرت فى كتابة التراجم . فالنبالة الرومانية كانت تمجد الأسلاف ، وحب الرومانيين للشهرة قادهم الى كتابة حيوات ذوى السلطان بواسطة عبيدهم أو من اعتقوهم فى كثير من الاحيان . وبعض هذه التراجم صورت لدوافع من السياسة أو الخلق أو القدوة . فما كتب بلوتارك كتابه فى سير عظماء اليونان والرومان ، وما كتب سويتونيوس كتابه « حياة الاثنى عشر امبراطورا رومانيا » الا لتكون نماذج واقعية للحياة التى ينبغى ان يكون عليها رجل السياسة .

وانتشرت التراجم كما لم تنتشر من قبل لدى الأباطرة المتاخرين ، ولكنها فقدت أصالتها وحيويتها بعد ذلك فى أعماق العصور المظلمة . وكما قال دون فى كتابه التراجم الانجليزية : « كانت الكنيسة واعمالها هى الامور الهامة فى تراجم العصور الوسطى ولما كان هدف المؤلفين رغبتهم فى بث الورع ، فقد كان مجهودهم محدودا فى البحث عن الحقيقة » .

ويستطيع المرء أن يرى روح عصر النهضة بعد ذلك فى تراجم القرن السادس عشر . فكتاب « تاريخ الملك ريتشارد الثالث » الذى الفه توماس مور ، يتضح فيه محاولة البحث عن داخلية الشخصية وان كانت تراجم ذلك العصر ، لا تكاد تختلف عن التاريخ بوجه عام . وعندما ظهر والتون فى القرن السابع عشر ، كان اشبه بقنطرة بين الفن القديم والحديث فى التراجم ، فقد طور فن التراجم واثر فى كتاب القرن الثامن عشر ، حين احتضن اهتمام العصور الوسطى بالاخلاقيات واهتمام المحدثين بالفن والأمانة وعرض الشخصية . وحين مات عام ١٦٨٣ ، ولد عصر جديد فى فن التراجم . يقول ستوفر فى كتابه فن التراجم (ان النظريات القديمة ونظريات العصور الوسطى عن النظام الاجتماعى والدينى الثابت ، الذى كان فيه الفرد جزءا ثانويا ، قد تغير تماما بالمذهب الفردى الاستبطانى الذى جاء على أيدى الرومانتيكيين ... ومن تفاعل التصور القديم والحديث ، برزت تراجم القرن الثامن عشر فى حيويتها وتنوعها) . وقد بالغ ذلك المؤلف عندما ذهب فى كتابه الى ان العصور الحديثة لم تطور تراجم القرن الثامن عشر ، ولكن من المؤكد انه ما من فترة حديثة توازى هذا القرن فى الكم والكيف بالنسبة لكتاباتها التى تتعلق بفن الترجمة .

لقد أصبح كل فرد موضوعا ممكنا لكتاب ، واتخذت الترجمة اشكالا أدبية أخرى مثل المسرحية والقصة ، فى نفس الوقت الذى اثرت فيه فى هذه الفنون نفسها . ولاول مرة ظهر النقد الادبى للترجمة ، كذلك ظهرت الترجمة القصصية ذات الاصل التاريخى ، التى ملئت صفحاتها بالخيال . وقد علم المسرح كتاب التراجم قيمة الحوار فى

تصوير الشخصيات والتمثيل الحي ، وامكانية القصاصين في خلق أناس حقيقيين ، حثتهم على أن يدققوا في تسجيل المعالم الشخصية . وكانت الملاحظات النفسية لكتاب القصة ، أكبر نجد لهم . يقول فولتير : « ينبغي أن تذهب الى الاعماق ، بينما حسب المؤرخ في العصور السابقة أن من المهم كشط السطح . » وقد حاول كتاب التراجم الممتازون أن يقتدوا بصناعة بلوتارك في البحث عن الحقيقة الداخلية ، وذلك بتجميع كثير من الحقائق الصغيرة في وحدات منطقية ، وللوصول الى الحقيقة الداخلية، دون فقد الصلة بالواقع ، حاول المترجمون زيادة الاستفادة من الوثائق الشخصية .

❊❊❊

وتميز القرن الثامن عشر أيضا باهتمامه بالاسلوب والترتيب . لقد كان هناك طراز خاص بالتراجم الكلاسيكية شكل بعناية ، وبمقارنة تراجم القرن الثامن عشر بها ، نجد أنها معدومة الشكل ، ولكن هذا النقص في البناء كان نتيجة اهتمامهم بالطبيعة الفردية للشخصيات ، فلم يخططوا قواعد عامة ، ولكنهم حاولوا بكل قواهم أن يكونوا ممتعين ، وأن يصوروا الشخصيات ، وأن يسجلوا الحقيقة ، وكان الاسلوب والترتيب وسائل لهذه الاهداف . وكثير من الكتاب أثناء تشبثهم للاحتفاظ بهذه الاهداف متوازنة ، قدموا أعمالا فاسدة ، وبعضهم ضحى بكل شيء في سبيل الامتاع وانتهى بكتابة قصص لاتراجم . ولكن «بوزويل» وحده في كتابه عن «حياة جونسون» قدم عملا فنيا عظيما ، يعتبره النقاد أعظم ترجمة في القرن الثامن عشر ، جمع فيها «بوزويل» محاولة الباحث والفيلسوف والقصاص . ومنذ أيامه حاولت الترجمة أن تبدو أكثر صقلا ، وان لم تستطع أن تتقدم كثيرا بعده . ومؤرخ التراجم في القرن التاسع عشر ، يستطيع أن يسجل قليلا من علامات التطور . فقد كان هناك تغير في الصناعة الفنية ، وربما تحسن في المستوى العام لكتابة التراجم ، ولكن الاعمال البارزة كانت نادرة . فلم يكن هناك تطور منهجي حتى أول القرن العشرين . والرومانتيكية بتركيزها على الاستبطان ، وحبها للحرية والفردية ، وطموحها وتعاطفها ، ربما يتوقع منها الناقد أن تضيف بعدا جديدا لفن التراجم .

ولكن الواقع أن أحدا لم يقترب من مستوى «بوزويل» خلال الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، عندما كانت الحركة الرومانتيكية في قمتها ، وان أضاف الرومانتيكيون مادة أساسية لكتاب التراجم اللاحقين . فقد كتبوا الخطابات المليئة بالايحاءات الذاتية ، وفتشوا الماضي من أجل اذاعة يومياتهم . وكثيرا ماعاشوا حياة شاذة الهمت الاجيال التالية ، ولكنهم أنفسهم اضافوا القليل لفن التراجم .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ، كانت زيادة الاهتمام بالموضوعية العلمية في كتابة التاريخ ذات اثر ضار على التراجم . وقد كان نقاد العصر الفكتوري يتجادلون حول الموضوعية ، ولكن العلماء ودوا لو ازالوا من كتاباتهم كل التحفظ وحتى التعاطف. وكان تأثير هيجل بنظريته حول قيام وسقوط الحضارات ، و « داروين » بفكرته أن البيئة تبدى ضبطا متزمتا لتطور الانواع التى زادت بالتدريج حتى تسلطت تماما أواخر القرن الماضي ، « وكارل ماركس » بتحديده الاقتصادى ، كل هؤلاء كان تأثيرهم كبيرا ، وكانت نظرياتهم تسلب الفرد قيمته واهميته . فاذا كان الفرد مجرد رهينة عاجزة ، او مجرد حيوان أنانى مدفوع بلذاته المادية ، فان من العسير أن يستحق الدراسة التفصيلية للتراجم . ولكن لا ينبغي ان ننسى أن حتمية العلم التى رفضت عنصر الصدفة ، وكشفت القوى الغيبية ، قدشجعت على دراسة الفرد وجهوده . والاستثناء الوحيد لهذه الدراسات الناشئة كان علم النفس الذى تفاعل مع التراجم . واتجه علماء النفس الى دراسة الشخصية باعتبارها حالة متفردة ، واستفادوا من التراجم . وكان تأثير « أصل الانواع » لداروين شديدا في كل معسكرات علم النفس . فقد أضاف بعض علماء النفس أن البيئة هي العامل الثابت في تكوين الشخصية ، بينما أرجع بعضهم العامل الفعال الى الوراثة . وكان الجدال حارا ، واستخدمت كل المدارس التراجم في حججها . حتى لقد قال اليس « ان الترجمة هي فرع من علم النفس التطبيقي » .

❊❊❊

ومع بداية القرن العشرين ، الف « فرويد » كتابه « تفسير الاحلام » ، وقد استطاع هذا الكتاب ان يسقط الحائط المتداعي لتحفظ الفكتوريين . وكانت نظرة فرويد النفسية للفرد ، باهتمامها باللاوعي

والجنس قد قوبلت بمقاومة شديدة حتى بين علماء النفس ، وقد كان اعتمـــاده على التراجم قليلا اول الامر • ولكن بقيام الحرب العالمية الاولى بدأ فرويد يطبق نظرياته على فن التراجم • وقد قدم مع بعض مريديه ما يعتبره نقـاد التراجم ، أول تطور جديد هام في كتابة السير منذ القرن الثامن عشر • اختار فرويد ليناردو دا فنسى ميدانا يطبق فيه تحليله النفسى • والمؤرخون يعرفون حياته العملية ، ولكنهم يجهلون شخصيته • وقد كانت دراسة فرويدمختلفة تماما عن أية ترجمة سابقة • فهو يخصص اكبر قدر من كتابه ليبحث في طفولته عما يســـميه الشذوذ الجنسى المثـالى ، ولا يهتم فرويد بآثار ليوناردو ، الا لكى يكشف عن مزيد من الشهادات حول الحياة النفسية للفنــــان • وقد كانت الموضوعية العلمية الجـديدة ، وصراحة النفسيين الفرويديين بمثابة ضربة قاضية للتراجم الفكتورية ، وتشـــييد لمسرح ستراتش ، وعصر جديد للتجربة ، ونمـو لفـن التراجم •

***

قدم « ستراتشى » ما عرف بعـــد ذلك بالتراجم الجديدة . فالترجمة عنده شكل متفرد من الاشكال الادبية تحتاج معالجة خاصة ومهارات كبيرة • وقد كان متأثرا أيضا بعلم النفس الجـــديد • وككتاب السيرة القصصية حطم أسلوب الاستناد الى النصوص والقيود الصلبة التى يحملهـــا الباحث عن الحقيقة العلمية • يقـــول ستراتشى : « ان الواجب الاول للمؤرخ أن يكون فنـــانا ، وليس التاريخ تجميعـا للحقائق ، ولكنه الصلات بين الاحداث • ان الحقائق التى تتصـــل بالماضى اذا ضم بعضها الى بعض بغير منه فانها لا تعدو أن تكون جمعـا وتصنيفا • والتصانيف بغير شك قد تكون ذات نفع ، ولكنهـا لا تســـمى ترجمة الا اذا استطعنا أن نسـمى مواد الزبدة والبقدونس والبيض طبقا من العجة • » وهو لم يقصد بالصلات كتابة قصة ، ولكنه قصد تشييد ذاتية فنية • ومنذ عام ١٩١٨ حتى وفاته عام ١٩٣٢ ، كان دون شك أكبر كاتب سيرة له مكانته . كانت

كتبه قليلة فبعد « الامجاد الفكتورية » كتب « الملكة فكتوريا » و « اليزابيث » وبعض المقالات النقدية • ولكن صنعته الفنية قـد أثرت في كثيرين من كتاب التراجم المعروفين • وقد كانت تراجمه مؤسسة على سـعة الاطلاع وعمق الدراسة ، ولكن ينقصه عنصر حيوى ، هو احترام الحقيقة • كما فعل ـ على سبيل المثال ـ عندما أراد أن يظهر « الجنرال جوردون » بمظهر الغافل ، فاستند الى مصادر معروفة بخداعها ، وكما اخترع مادة يظلل بها صورته للملكة فكتوريا • ومن هنا رأى النقاد أن قيمة أعماله فى نظريته اكثر مما فى تطبيقه •

***

وكثيرون من الذين تأثروا به مثل أندريه موريس الفـــرنسى ، بيرســــون الانجليزى ، برادفـورد الامريكى قد اتخــذت تراجمهم اشـــكالا مختلفة ، فبعضهم اخترع حوارا ووصف أحداثا دقيقة ربمـــا وقعت وربما لم تقع ، وزعموا تسجيل أفكار وكلمات وافعال نسـبوها للذين يترجمـــون لهم • ولكن اكسنفون نفسـه ـ وهو تلميذ سقراط ـ لم يكن فى استطاعته أن يتذكر محادثات سقراط التفصيلية فى كتابه وقد كان بلوتارك أستاذا فى هذه الصنعة الفنية ، ولـكن هذه الصـنعة الفنية اذا ما احتكمت للمنهج العلمى ، كان من الصعب الادعاء بأن هذه الأعمــال من التراجم • وكما يقول جارتى الناقد الأمريكى : « كثير من الكتاب يحتدون بتسمية أعمالهم تراجم قصصية ، ولكن الخط الفاصل بين القصـــة والترجمة ليس واضحا فى اذهانهم » •

وغيرهم ممن أســـموا أنفسهم باصحاب المدرسة الحدسية ، رأوا أن كل شخصية بسيطة طالما أمكن العثور على مفتاح تلك الشخصية • وربما استدعى ذلك وقتا طويلا ، ولكن عندما يمكن العثور على المفتاح يظهر ضــوء داخلى ينير جميـع أحداث الموضوع • والترجمة الحدسية لم تكن مجهولة من قبل ، فالناقد الفرنسى « ســانت بيف » الذى عاش فى القـرن التاسع عشر ـ على سبيل المثال ـ كان يحبس نفسه مع اعمال الشخص الذى يريد أن يتحدث عنه ، يقرأ

ويتأمل ، حتى تظهر فجأة له « العلامة الكاشفة » . والى هذا اشار حين قال : « الصورة تتكلم ، لقد وجدت الرجل . » ولا بأس عند هذه المدرسة أن تمتلىء الفراغات التى فى جوانب الشخصية بالوان الخيال .

***

وقد نسى القصاصون والفرويديون والحدسيون فى سعيهم وراء التشخيص الحى ، ان التراجم فن يهدف الى وصف ماصنع الرجل وما يميزه شخصيا ، وان الترجمة شكل غير قصصى فى الاصل ، يقوم على الحقيقة والتسجيل الموثوق به . ومن هنا هاجم النقاد هذه الاشكال من التراجم ، كما هاجموا التراجم النفسية لاستنتاجاتها غير الموثوق بها ، ووصفوا تلاميذ فرويد بأنهم يزحفون كالحيات على كل فن جميل فى الحياة . ويقول دى : فوتو : « ان التحليل النفسى ليس له قيمة كمنهج للوصول للحقائق فى التراجم ، وليست هناك ترجمة اعتمدت على التحليل النفسى يمكن أن تؤخذ جديا كحقيقة واقعة . » وبالرغم من أن احدا لم يستطع ان يقيس تأثير كل هذه الهجمات على ذوق الجماهير ، فمن المؤكد ان النقد المحافظ قد اسرع بسقوط هذه الاشكال من التراجم . وحوالى عام ١٩٤٠ كانت أكثر الاشكال المتطرفة قد استنفدت أغراضها ، وظهرت مدرسة جديدة عند نهاية الحرب ، حاولت أن تركب المناهج المتطرفة وتجمع اليها البحث المتسع . وهذا الاتجاه تسمية (المنهج الروائى) . والتراجم التى من هذا النوع يتخللها أيضا التحليل النفسى لكشف المشاعر الداخلية ، وان كان من المعتاد الا تكون فرويدية فى تنظيمها . واهتمت بالوصف الدقيق للمشهد ، مع جهد ضخم يبذل من أجل ابراز التفاصيل الصغيرة . وهم فى الوقت نفسه يعتبرون أنفسهم علميين لان استشهاداتهم مبنية على الحقيقة دائما . والفرق بين هذه التراجم والقصص أن القصاص يكتب الافكار والحوار الذى كان سيحدث لو كان هو بطل القصة ، اما كاتب الترجمة الروائى فيكتب الافكار والحوار الذى يعرف أن بطل الترجمة اداره من خلال الابيانات التى فى مفكراته او خطاباته . والفرق بينها وبين التاريخ أن الترجمة تهتم بالمعضلات الجذرية لوصف الشخصية ، لا بمجرد عرض أحداث الحياة . ولعل من أحسن التراجم التى تمثل هذا اللون ، ترجمة « جين جولد » للقصاص الامريكى هرمن ملفيل ، الملاح الصغير .

فى معركة المصير العربى
تاليف طاهر ابو فاشا

بقلم : عبد العزيز الدسوقى

كثرت فى هذه الايام المؤلفات التى تدور حول فكرة العروبة والقومية العربية ، ولا شك أن معظم هذه المؤلفات مفيد بما يحمل من الكثير من المعلومات التاريخية والقضايا القومية والفكرية . ولكن حركتنا القومية المعاصرة ستظل تفتقر الى المزيد من لون آخر غير هذه الكتب .. لون يحمل الى العقل القضايا والافكار ، ويمتع القلب ويغذى المشاعر ، ويضىء النفس ويترك فيها اثرا عميقا خصبا . وهذا اللون من التاليف لا يقدر عليه الا هؤلاء المفكرون الذين يملكون الى جوار علمهم — ذوقا مرهفا وقلبا خصبا وبيانا عذبا وايمانا عميقا بما يكتبون .... ولذلك سعدت كل السعادة وأنا اقرأ كتاب « فى معركة المصير العربى » الذى صدر على ابواب هذا العام للصديق الفنان الاستاذ طاهر ابو فاشا ، فهو من هذا اللون الثانى .

وطاهر ابو فاشا مرتبط فى الاذهان بالعمل الاذاعى الكبير الذى يستمع اليه الناس منذ عشرين عاما او نحوها وهى (الف ليلة) . وقد لا يعرف الكثيرون انه مؤلف لكثير من الكتب السياسية والاجتماعية والقومية ، وأبرز مؤلفاته تلك التى تناولت فى شمول واستيعاب ملامح نهضتنا المعاصرة بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ، وهى حوليات صدر منها حتى الآن سبعة اجزاء بعنوان « الجمهورية العربية فى عام » .

وعندى ان كل هذه الاشياء لا تمثل طاقة « طاهر ابو فاشا » الحقيقية ، لان طاقته تلك تبرز بوضوح وجلاء فى الشعر . وقد أصدر عدة دواوين شعرية فى الثلاثينيات من هذا القرن . اذكر منهما « القيثارة » و « الاشواك » الى جانب عديد من القصائد التى نشرها فى الرسالة ولم تطبع بعد فى ديوان .. اذكر كل هذا التاريخ الفنى للمؤلف ليعرف القارىء ، لماذا كان الكتاب الذى نقدمه اليوم بكل هذه العذوبة والخصوبة ولا شك ان المؤلف يملك — الى جوار هذه الموهبة الفنية — طاقة كبيرة فى البحث والاستيعاب ولهذا حمل كتابه قضايا الانسان ، منذ كان الى الآن . . .

والكتاب اشبه برحلة طويلة فى التاريخ ساح فيها المؤلف سياحة طويلة عبر الازمان وشاهد هذه الاحداث وعاشها ونقلها الينا نابضة بالحرارة والحياة ولهذا نحس اننا لا نقرأ تاريخا وانما نعيش هذه الحياة ونعانى تلك التجارب . والمؤلف مؤمن ايمانا عميقا بالنضال العربى ، الى جوار ايمانه « بطبيعة الخير فى الانسان مهما كان » لذلك يبدأ رحلته التاريخية من الماضى ويتلبث عند الحاضر ، ويتنبأ بالمستقبل ، فالماضى — كما يقول — درس . والحاضر عمل . والمستقبل امل . . .

وليس يكفى هذا الانطباع العام بل لابد من تقويم دقيق واحصاء لما فى الكتاب من قضايا وابواب . بدأ المؤلف كتابه بتمهيد عن تاريخ النضال العربى بصورة عامة ثم فصل هذا الحديث « فى المعركة » ، وكشف عن استراتيجية الاستعمار التى لا تتغير بالنسبة للوطن العربى منذ القرن الحادى عشر الميلادى حتى اليوم وأوضح دور مصر فى النضال وكيف انها لم تنعزل عن الصف العربى ابدا لان تاريخ الوطن العربى كان تاريخا واحدا منذ كان . . .

ثم تكلم بعد ذلك — فى دقة واستقصاء — عن مفهوم القومية العربية بعد ان اوضح معنى القومية وتناول نشوء القوميات وتعرض بالدراسة والتحليل لكل النظريات التى سادت منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم عن نشوء القوميات ... وانتهى الى تاصيل عميق لقوميتنا العربية واشتراكيتنا واكد انهما ينبعان من تيارين اثنين « أولا : الواقع العربى الذى ينتظم وحدة التكوين النفسى والشعور المشترك بالالام والآمال .. ثانيا — التراث المشترك الذى ينتظم وحدة اللسان والتاريخ .

وبعد ان افاض المؤلف فى شرح مقومات القومية ،

من وحدة الجنس والوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ ووحدة اللغة ناقش أصحاب نظرية المشيئة والنظرية العضوية وفند اقوال هؤلاء المفكرين بعد ذلك أكد ان اهم مقومات العربية شيئان هما وحدة اللغة ووحدة التاريخ ٠٠ وقاده هذا الامرالى استقراء احداث التاريخ خلال مراحل ثلاث خاضتها القومية

***

المرحلة الاولى :

عهد الاستقلال القديم الذى نشأت فيه منذ فجر التاريخ وانتهت عام ٥٢٥ قم عند الاحتلال الفارسى لبلادنا

***

المرحلة الثانية :

مرحلة الاحتلال الطويل الى استمرت نحو ١١٥٠ عاما

***

المرحلة الثالثة :

مرحلة النضج القومى التى استكملت فيها امتنا العربية مقوماتها كاملة واحدة وقد بدات هذه المرحلة عند المؤلف فى القرن السابع الميلادى عند ظهور الاسلام وظلت حتى اليوم ٠٠٠ وهذه رحلة مضنية حدثنا فيها المؤلف عن احداث الامة العربية منذ هذا التاريخ الى اليوم وموقفنا من العالم والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى جعلت الوطن العربى فى قلب الاحداث .

تناول المؤلف كل هذه الاحداث فى صفحات كثيرة تشع بالبساطة وتفىء بالعذوبة ٠٠٠ ولم ينس أن يحدد فى وضوح وجلاء أوجه التشابه بين كل جزء من اجزاء الوطن العربى ويحدد معالم النضال المشترك الذى ظل مشتعلا عبر الاجيال ، ضد المستعمر الذى تمكن فى نهاية المطاف من تفتيت الوطن واقامة الفواصل المصطنعة بين اجزائه .

***

سبيل الوحدة العربية كهدف قومى

وهنا ينتقل المؤلف الى نضال العرب الحديث فى الميدان الاجتماعى كطريق لاسعاد الانسان العربى على أرضه وذكره الصراع الذى دار بين العرب والاستعمار ثم يقف قليلا عند تجربة الوحدة ٥٨ بين مصر وسوريا كامل فى امكان الوحدة ٠٠ولم ينس أن يشير الى مأساة الانفصال ثم سقوط هذا الانفصال والعودة من جديد الى محاولات الوحدة ٠٠٠ وينتهى الكتاب باعلان ١٧ أبريل سنة ١٩٦٣ الذى يدعو الى الوحدة الثلاثية .

***

والكتاب بهذا الشمول والخصوبة مرجع هام من مراجع النضال العربى يثرى وجدان الشباب العربى ويدفعهم الى العمل

غير اننى فى النهاية لابد ان اشير الى بعض المواطن التى اختلف فيها مع المؤلف :

أولا : المؤلف يعتبر الوحدة الجغرافية مقوما للوحدة العربية ، وانا لا ارى ذلك للوطن العربى متعدد الوحدات الجغرافية ، فيه السهول والوديان والجبال ، فيه المواطن الجافة والصحارى ، وفيه الاماكن الممطرة والقيعان ، ومع ذلك فهو امة واحدة على رغم تعدد وحداته الجغرافية .

ثانيا : المؤلف يرى وحدة الارض تستلزم وحدة البيئة ، وانا اعتقد ان الارض الواحدة تضم مجموعة من البيئات

ثالثا : المؤلف يظلم « ارنست رينان » عندما يقول انه فى نظريته المشيئة لا يتكلم فى القوميات وانما فى التكوينات السياسية وارى ان (رينان) كان يتكلم فى معانى القومية ويحاول التأصيل لها فى محاضراته بالسوربون .

رابعا : المؤلف يعتقد ان الدولة تقوم بدون اقليم معين ، بينما يرى كل رجال القانون وعلماء الاجتماع أنه لابدلقيام الدولة من اقليم معين ٠٠٠ كما احب ان اشير الى ان الرقم الذى ذكره المؤلف للجيش الذى فتح مصر (٤٠٠٠) لا يتفق مع اجماع علماء التاريخ فهم يرونه نحو خمسة عشر الفا من الرجال ونصف الالف .

على ان هذه الملاحظات التى آخذها على الكتاب لم تقلل ابدا من استمتاعى به وتأثرى ، ولهذا فاننى ارجو ان تتاح قراءته لاكبر عدد من الشباب والشيوخ

وراء السر

للشاعر محمود حسن اسماعيل

كل سر غير هـذا السر ، مزقت حجابه
وعرفته !

وطـوى قلبى دجـــاء فى يديه ، وأذابه
فشربته !

وجرى لحنـا يدق الشوق للمجهول بابه
فعزفته !

وسواء كان حقـا
أم ضلالات وحمقا ،

انمـا كان طريقـا . . نور الله ترابه
. . فسلكته !

ومحا الغيب من الاشراق والنـور سرابه
. . فاقتحمته !

واذا السر الذى يعثر فى التيـه ضبابه
قد وصلته !

غـير سر لاح برقا
رف بالمـوت ودقـا

ففتحت الباب . . فاندك ، وأعطانى خرابه !
. . فتركته !

مثلما يخطف حادى الريح فى البستان زهره
مثلما يسرق شيطان الرؤى فى الحلم فكره
مثلما ينهب صمت الليل فى الصحراء نبره
مثلمـا تختلج العين ، فـلا ترتـد نظره

وكمـا يمرق طيف ،
وكمـا يهتز طرف ،

وكما تنسل فى سـهو عن الانفاس زفره . .
. . رحل العطر! واخفى عن وداع الكون سره
عن قريب وبعيد ، وتديم عب سـحره ،

وهو فى الآفاق يطفو ،
وعلى الاعماق يغفو ،

سـاكبا كل أمانيه ، ودنياه ، وعمــره !
طائر للحب والفرحة لم يعرف خميلة
انمـا كان مزامير من الروح الاصـيله
وصدى يطلق للايام نجواه الجميـله
فتشق الغيب والابعاد . . لا تبقى وسيله

تحمل الاشواق زهرا
وتسوق الحب عطرا

وتساقى كل ظمـآن . بمـا يروى غليله
وتلاقى كل حيران بما يهدى سـبيله
وترى الهم فتغتـال من النفس فلوله

لم يكد يمعن سيرا ،
وترى دنياه فجرا . .

. . واذاه، فى حرير النعش، رؤيا مستحيله !
قال لى طير رأى النعش على الدرب يسير :
ذلك السر . . الذى ذابت بشطيه الدهور ،
وتلاشت دونه الاوهام ، والعقل الضرير !

من يزيدالنور . . نورا
فجره يلقى المصيرا !

والذى أيامه عرس ، وزهـر ، وعطـور ،
وحياة ، لحياة النـاس تسـقى وتدور
ورحيق ، بصفاء الروح يجريه الشعور . .

كالصدى يمضى قصيرا
كالشذا يفنى العبيرا ،

قبـل أن ترشف رؤياه الصـدور !

قلق

للشاعرة روحية القليني

قد قال لي بالامس عذبني مع الليـــل الارق
فقضيت يومي كـــله حـــيرى يمزقني القلق
ياليتـــه عن سر مـــا يخفي تـــكلم وانطلق
فـــله أنا ولغـــيره والله قلبي ما خفق
لـــكنه لزم السكوت وعن جـــواه ما نطق

***

وقضيت يوما مظلما عانيتـــه نهب الخواطر
لما لمحت جفونه تطوي على الدمع المحاجر
في كبرياء رجولة والقلب رغم الصمت ثائر
لم لم يبح لي بالهوى ؟ لم لم يبح لي بالمشاعر
اني اقدس صمتـــه ولو انه بالصمت حائر

***

فحياته أغلى على من الحيـــاة ومن عيـــوني
وأخاف من طول السكوت عليه من نار الشجون
والصمت فيه عـــذابه وعـــذابه يدمي جفوني
لو باح بالسر العميق لهان كل شـــجى دفين
اني أضـــل بحـــيرة يطويها في قلق حنيني

***

ورجعت للقـــلم الصديق أبثه شجوالصديقه
أحكي له ذوب الفؤاد حكاية تبدي الحقيقـــه
فلعله يحنـــو على دمعي ويبحث عن طريقـــه
لكنه التزم السكوت مقـــلدا فيـــه رفيقـــه
وسهرت في لجج الغموض بحيرتي لهفي غريقه

***

اني على السر العميق بحق قلبينـــا امينـــه
قل ما تشـــاء كمـــا عهدتك في أحاديث رزينه
سأصون سرك في ضميري في قرارات دفينة
لا تخف عني حيرة لا تخف أنات حزينـــه
أفلا تهزك لوعتي مزجت بدمعاتي السخينه

تصوير الشعر الحديث
للفقر في المجتمع العربي

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

الغنى والفقر ظاهرتان من ظواهر المجتمع فى كل العصور ، وقد لمسهما القرآن الكريم فى غير موضع : فى معرض التعبير عن الافتقار الى الله فى قوله تعالى : « يايها الناس انتم الفقراء الى الله » وفى موضع الاستغناء بفضل الله فى قوله : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » وفى معرض الاستعفاف عن اموال اليتامى فى قوله تعالى : « ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف » . وفى معرض الامر باطعام البائس الفقير فى قوله تعالى : « واطعموا البائس الفقير » وفى غير ذلك من المواطن التى ليس هنا مجال حصرها .

ولقد تناول الشعر العربى فى مختلف العصور ظاهرة الغنى والفقر فى المجتمعات العربية الاسلامية تناولا يختلف حسب احساس الشاعر وشعوره ورايه فى المال والثراء ، وميله الى الزهد ، وقدرة المال على ستر العيوب ، وتغطية الذنوب ، واقبال الدهر وادباره وغير ذلك من المسائل المتفرعة التى تجدها منثورة فى كتب الاخبار والطرائف والنوادر فنجد قوما يمدحون الغنى لانه سبيل الحياة الهنية الوادعة ، على حين نجد قوما يمدحون الفقر لانه يخلى صاحبه من هموم الحرص والقلق على الموجود فليس لدى الفقير ما يحزنه على فقد المحبوب . حتى لقد حكى ان البصرة قد غرقت يوما فاخذ الناس يستغيثون ويصرخون اسفا على ضياع اموالهم الا حكيما قيل انه « الحسن » رضى الله عنه خرج وما معه غير تميمة وعصا وهو يقول : نجا المخفون .

وهل نظرة الزهد الى المال والغنى هى اثر من آثار الايحاء بالرضى والقناعة التى كان لبعض الجهات الحاكمة والمالكة مصلحة فيها ؛ حتى يصرفوا الأنظار عن تكوين الثروات وتحويل ذلك الى جهاتهم والا فان الغنى مطلوب ومرغوب فيه ، فكيف نجد عند بعض الشعراء دعوة الى الزهد فيه والانصراف عنه وعدم تعنية النفس بطلبه ! هنا نجد الشعراء يختلفون فى التعليل لرفض الغنى وطلب الفقر ، فالشاعر محمود الوراق يرى ان المال هو سبيل الى عصيان الله او ان العصيان هو سبيل الى الغنى ، فيفضل من اجل ذلك الفقر على الغنى قائلا :

من شرف الفقر ومن فضله
على الغنى لو صح منك النظر
انك تعصي لتنال الغنى
ولست تعصي الله كى تفتقر

والشاعر عبد الله يرى من مزايا الفقر على الغنى ان الفقير لا يموت بحسرة على فقد نعمة ، فيقول :

تبين فضل الفقر عندى على الغنى
بواحدة فيها عزاء لذى حجر
متى مت لم آسف على فقد نعمة
يود الغنى من اجلها المد فى العمر

والشاعر ابو تمام لا يرى ان الفقر هو عدم المال ، بل الفقر هو عدم المروءة ، وهذه نظرة خلقية الى الفقر تعلى من شان ارباب المروءات ، فيقول :

لا يحسب الاقلال عدما ، بل يرى
ان المقل من المروءة معدم

اما الشاعر ابن الرومى فيعلل لمزية العدم والحرمان بانه ليس معه الخوف من الفقدان . ويقول فى ذلك :

ومن سره الا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا . .

على ان الشاعر الجاهلى عروة بن الورد قد عرف الفقر وخافه وعرف منزلة الفقر فى المجتمع ، من اقصاء عن الندى ، وازدراء من الحليلة ، وانتهار من الصغير ، على حين يضفى الغنى على صاحبه جلالا ، ويقلل من ذنبه ولو كان جما ، فيقول :

دعينى للغنى اسعى ، فانى
رايت الناس شرهم الفقير
وابعدهم واهونهم عليهم
وان امسى له حسب وخير
ويقصيه الندى ، وتزدريه
حليلته ، وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير . . .
قليل ذنبه ، والذنب جم
ولكن للغنى رب غفور

واذا كان تصوير الفقر والغنى فى شعرنا العربى القديم لم تكتمل فيه الصورة من كل نواحيها ، بل

كان يكتفى الشاعر باللمحة الخاطفة من هنا وهناك للتعبير عن رأيه فى الفقر والغنى ، فان الشعر العربى الحديث والمعاصر قد التفت الى هذه الناحية ووفاها ما تستحق من العناية والاهتمام والدقة فى التفصيل . فنجد صورا للفقر والفقراء فى المجتمع العربى الحديث نكاد نفتقدها بهذه الاحاطة والالوان والظلال فى الشعر القديم .

ومن الشعراء المحدثين من كان تصويره للفقر عن تجربة ذاتية عاناها هو بنفسه وكابد آثارها ، ثم ينتقل بعد ذلك الى تصوير الفقر فى امته التى هو احد افرادها ، والتى يشيع الفقر فيها على الرغم من خصب ارضها ، وثروة ثراها . ويمثل هذا الفريق من الشعراء حافظ ابراهيم الذى نجد هذه الصور عنده حافلة فى فترة بؤسه التى بلغت بضعة عشر عاما الى ان وجد له وظيفة فى دار الكتب سدت حاجته فانقطع عن الشكوى وترديد الحان الفقر وصوره . وقصيدة شاعر النيل البائية خير تصوير لفترة الهيمان على الوجه فى سبيل العيش . وفيها يقول :

كم هِمت فى البيد والآرام قائلة
والشمس ترمى اديم الارض باللهب

وكم لبست الدجى والترب ناعسة
والليل اهدأ من جأشي لدى النوب

والنجم يعجب من امرى ويحسبنى
لدى السرى ثامنا للسبعة الشهب

لكننى غير مجدود ، وما فتئت
يد المقادير تقصينى عن الارب

ويستمر الشاعر فى تصويره لبؤسه وفقره حتى يخلص من ذلك الى حالة الفقر العامة فى بلاد تدر الذهب ولكن لغير اهلها ... بل للأجانب ، فيقول :

ايشتكي الفقر غادينا ورائحنا
ونحن نمشي على ارض من الذهب

وتذكرنا ابيات حافظ ابراهيم هذه بقصيدة « حياة مشقات » التى وصف بها الشاعر المهجرى الكبير الياس فرحات سوء حاله فى المغترب :

واستعرض الايام : يومى الذى مضى
دليل على يومى الذى اترقب

طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة
طويت بها الاصقاع اسعى وادأب

اغرب خلف الرزق وهو مشرق
واقسم لو شرقت كاد يغرب !

ونجد عند الشاعر السودانى « التيجانى يوسف بشر » بعض صور للفقير لعلها كانت تصورا ذاتيا لحاله هو ، فقد عانى الحرمان والفقر ، ولكن الاباء كان بجلله . وكان على تمام اليقين بان آهة الفقير اقرب الى الله واسمى من ضحكات الغنى الخليع ، وابياته التالية تعد من اصدق الصور للفقير الكسير الفؤاد ، وفيها يقول :

بنفسي من هان حتى تواضع
فى نفسه كل معنى رفيع

مشي خاشع الطرف رث الثياب
كئيبا كثير مرائى الخشوع

تاكله حسرة فى الضمير
وتسحقه خيبة فى الضلوع

يبين عليه انكسار الفؤاد
ومسكنه المستذل الوضيع

وفى نفسه ظما للعطور
وفى روحه حرقات وجوع

فيا آهة ملء دنيا الفقير
ويا انة ملء دنيا الوجيع

لانت لدى الله اسمى وانبل
فى الأرض من بسمات الخليع ...

وله ابيات اخرى فى تصوير الفقير يقول فيها :

مغداك فى حجر الآباد مغداه
وفوق دنيك فى الايام دنياه

اظل من جيل الاحقاب محتملا
سفر الحياة على مكدود سيماه

عارى المناكب فى اعطافه خلق
من العطاف تفني الا بقاياه

ومن الشعراء الذين التفتوا الى مفارقات الفقر والغنى الشاعر اللبنانى بشارة الخورى « الاخطل الصغير » ولم يترك الاغنياء دون ان يسلط عليهم سهام لومه لتركهم الفقراء مع انهم هم منبتو الزرع ، وحالبو الضرع ، والكادحون فى الارض وفى المصنع فتراه يوجه الخطاب الى الاغنياء قائلا :

ايها الاغنياء ان غناكم
شيدته سواعد الفقراء

القصور التى تقيمون فيها
من بناها لكم سوى الفقراء ؟

والطعام الذى تلذون من هم
صانعوه لكم سوى الفقراء ؟

والرياحين فى الجنائن من هم
غارسوها لكم سوى الفقراء ؟

والحليب الذى رضعتم صغارا
كان من صدر معظم الفقراء !

وفى قصيدة اخرى يكرر الاخطل الصغير هذه المعانى ويحمل على الأغنياء الذين يحاولون قتل الفقراء ، ويسأل : من يتولى اصلاح الارض وغلتها لو مات الفقير ، فيقول :

ايها الناس الألى خاطوا الكفن
للفقير كى يفوزوا بالثراء

هب ورثتم بعده الأرض فمن
يصلح الأرض لكم يا اغنياء ؟

ولعل اعجب ما قرأناه من شعر الأخطل الصغير انه مزج الغزل بتصوير الفقر فى بيتين يصف بهما فتاة فقيرة حسناء تبكى ، فقال :

شكت فقرها فبكت لؤلؤا
تساقط من جفنها وانتثر

فقلت وعينى على دمعها
افقر وعندك هذى الدرر ؟!

والصورة هنا غزلية اكثر مما هو تصوير للفقر الجميل ..

على ان الصورة الجامعة بين الفقر والجمال قد لجأ اليها بضعة من شعرائنا المحدثين ، والقصد من ذلك استدرار العطف واستجلاب الاحسان — فنجد الشاعر خليل مطران يصور فتاة جميلة فقيرة كانت عرضة للضياع والسقوط فانقذتها مبرة انشاها احد الخيرين ، فيقول :

من هى ؟ بنت من بنات الأسى
معروضة للصفقة الخاسرة

يطمع فيها حسنها والصبا
والفاقة المضاضة الكافره

اباس ما سارت باطمارها
لم تك الا بهجة سائره

تحس للابصار فى نفسها
وقع الندى من نبتة ناضره

ويح الفقيرات الجميلات من
حبائل القناصة الماكره

كالورد لا يعصم شوكه
اذا دنت منه يد جائرة ..

ومن شعراء العرب المحدثين من جمع فى القصيدة الواحدة بين صورة الغنى الواسع الثراء ، والفقير المعدم الذى يبيت على الطوى ويتلفف فى الاسمال حتى تكون المقابلة بين الصورتين المتناقضتين ادعى الى استدرار العطف ، واثارة الرحمة والاشفاق ، ونجد مثل هذا فى شعر لعلى الجارم يقول فيه :

ايها الوادعون يمشون زهوا، بين جبرية وبين اختيال
ينفقون القنطار فى ترف العيش ولا يحسنون بالمثقال
ويرون الاموال تنثر فى اللهو فلا يجزعون للاموال
ان فى بلدة المعز جحورا ، مترعات بادمع الاطفال
كل جحر بالبؤس والفقر مملوء ولكنه من الزاد خالى
بسقت فيه للجرائيم افنان تدلت بكل داء عضال
لو رايت الاشباح من ساكنيه ، لرايت الاطلال فى الاطلال

ولم يحجم الشعر الجديد المتحرر من قيود الوزن والقافية عن الاسهام فى حركة تصوير الفقر والبؤس فى المجتمع العربى ، الحديث . وقد اعانه الانطلاق من الوزن والبحر والقافية على الانطلاق فى الوصف التفصيلى لدقائق الصورة ، كما نرى فى قصيدة للشاعر السودانى « جيلى عبد الرحمن » بعنوان « اطفال حارة زهرة الربيع » يقول فيها :

وفى البكور يخرج الرجال
اقدامهم منهوكة وصمتهم سعال
يدعون للاله فى ابتهال
يا اله ! افتح لنا الأبواب ، وسهل لنا الأرزاق
وتختفى اقدامهم فى زحمة الحياة

ولم يخل شعر شاعر من امثال احمد محرم ونسيم ومصطفى الرافعى واحمد الكاشف وعباس محمود العقاد وعلى محمود طه وعبد الرحمن شكرى ومحمد الاسمر واحمد زكى ابو شادى من تصوير للفقر والفقراء ودعوة الى الاخذ بيد الفقير واليتيم ولكنها صور خاطفة وخطرات سريعة لم تتاصل حتى تكون مذهبا يدعو الى الاصلاح الاجتماعى والاشتراكية التى يجد فيها الفقر احسن علاج .

مع النفس الانسانية

بقلم : محمد عبدالله السمان

هل يمكن ان نستخلص الاسلام نظرية شاملة عن النفس الانسانية ؟

ان الاستاذ **محمد قطب** يعتبر كتابه الجديد « **دراسات فى النفس الانسانية** » محاولة فى هذا السبيل .. ويقول :

« هى مجرد محاولة .. انحمل مسئوليتها وحدى ، فالاسلام ليس مقيدا بما اقول ، وما ازعم ان هذه هى « النظريةالاسلامية » وانما اقول فقط انها « نظرية » اسلامية ، اجتهدت فيها بمقدار ما فتح الله على من طاقة المعرفة » .

هذه المحاولة — كما يشير المؤلف فى مقدمة كتابه — سبقها ارهاصات فى تفكيره ، **فقد** خطر له وهو فى مبتدأ دراسته للقرآن وللاسلام ، أن للاسلام نظرية معينة فى النفس الانسانية ، وأن هذه النظرية لابد ان تكون موجودة فى القرآن ، وفى احاديث الرسول ، اذ كان الرسول هو التفسير الواقعى للقرآن .

وحين قام المؤلف بتاليف كتابه « الانسان بين المادية والاسلام » كان فى نفسه هذا الخاطر .

وفى كتابه « فى النفس والمجتمع » عالج بعض الخطوط فى النظرية الاسلامية ، معالجة خفيفة .

اما فى كتابه « منهج التربية الاسلامية » فقد احتاج فى وضع فكرة الكتاب الى تخطيط صورة للنفس الانسانية ، اذ كان قد تبين له أن منهج التربية الذى وضعه الله فى كتابه مطابق تماما للنفس التى خلقها منزل الكتاب ، وان ابرز ما فى هذا المنهج هو التطابق الكامل بينه وبين النفس .

ثم جاء فى كتابه الذى بين ايدينا يحاول ان يستخلص للاسلام نظرية شاملة عن النفس الانسانية ، بعد أن ارتسمت خطوطها بين يديه فى ثنايا السطور ..

قبل ان تناقش هذه النظرية الشاملة عن النفس الانسانية ، ارى لزاما علينا ان نعرض خطوطها وابعادها كما رسمها المؤلف .

المؤلف يذكر ان هدفه من استخلاص نظرية شاملة عن النفس الانسانية هو معرفة مكونات النفس ، بقدر ما تيسر لنا المعرفة ، لنعرف بعد ذلك كيف تكون فى صحتها ومرضها ، واستوائها وانحرافها ، ونفيد من هذه المعرفة فى معالجة هذه النفس على اساس سليم ، اذن فمعرفة النفس هى الخط الاول فى نظريته ، وفى هذا الخط ناقش حقيقة الانسان : **ما الانسان اولا ؟ ما وظيفته ؟ ما دوره فى الحياة ؟ ما طاقاته ؟ وما حدود هذه الطاقات** ؟ ويرى المؤلف ان الاجابة عن مثل هذه الاسئلة كامنة فى قوله تعالى : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة** » كما يرى أن الدراسات النفسية الغربية تحاشت هذه الأسئلة بدعوى انها من مباحث الفلسفة التى لا ينبغى ان يخوض فيها علم النفس ، لان علم النفس يبحث الواقع النفسى الذى يجده امامه غير ناظر الى اى هدف آخر خارج نطاق هذا البحث ، وهذا ادى الى عيبين كبيرين فى تلك الدراسات :

الاول : أنه جعل هذه الدراسات على غير وعى بالانسان المتكامل ، الانسان الواقعى ، والآخر أنه جعل الدراسات لا تميز كثيرا بين الحالات السوية والحالات المنحرفة ، لأنها فقدت المقياس الذى ترجع اليه لمعرفة الاستواء والانحراف .

اما الخط الثانى فى نظرية المؤلف ، فهو الطبيعة المزدوجة فى الانسان ، وابرز ما فى الكيان البشرى انه كيان مزدوج الطبيعة ، وهو بهذا الازدواج كائن منفرد فى كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون التى تمثل طبيعة واحدة ذات جهة واحدة ، فالحيوان من جانب والملك من جانب ، والحيوان ذو طبيعة واحدة تتحدد بحدود الجسد والغرائز ، والملك مخلوق ذو طبيعة واحدة ايضا ، لانه يعيش فى نطاق روحه ويطيع توجيهاته بلا ارادة ذاتية .

اما الخط الثالث فى نظرية المؤلف فيتمثل فى الخطوط المتقابلة فى النفس البشرية ، وكل خطين متقابلان فى الخلقة ، وفى نفس الوقت متضادان فى الاتجاه .

اما الخط الرابع والاخير الذى استغرق اكثر من نصف البحث ، فهو الدوافع والضوابط فى النفس البشرية ، **والدوافع** كلها يمكن تلخيصها — على حد تعبير المؤلف — فى كلمة واحدة هى حب الحياة ، ولكنها بعد ذلك تتفرع وتتشعب فى اكثر من اتجاه بل فى كل اتجاه ، فتصبح دافعا لحفظ

الذات ، ودافعا لحفظ النوع ، ودافعا للقتال عن الذات أو القتال عن النوع ، ودافعا للملك ، ودافعا للتميز والبـــروز ، وكلها مظاهر لحب الحياة والتشبث بها والذود عنها والاستحواذ عليها .

والضوابط هى صمام الدوافع بعد ذلك ، ولكنه صمام يناسب طبيعة الانسان ، صمام يتمثل فيه ما فى طبيعة الانسان من وعى وعلم وارادة وحرية واختيار ، فالضـــوابط اذن قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ، ولكنها لا تظهر فى مبدأ الأمر كما تظهر الدوافع .

ولست ادرى لم يؤكد المؤلف ســـبق الدوافع على الضوابط فى نظرة الانسان ، مع أنه لا سبق لاحداها عن الاخرى ، والله خلق الانسان وهداه النجدين – اى طريقى الخير والشر – والخير والشر كلاهما قد يكون دافعا وضابطا ، وكلاهما أيضا قد يكون ضابطا للآخر ، والانسان الاول آدم ابو البشر وزوجه حين امرهما الله بالطاعة الهمهما ضـبط النفس حين قال : « **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما .. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .** » .

وبعد – فهذه الخطوط الواضـــحة فى نظرية المؤلف ، التى أراد أن يستخلصها للاسلام نظـرية شاملة عن النفس البشرية ، **ولسنا** بصدد مناقشة هذه الخطوط كما اوضحها القرآن ، وهى فى مجملها لا تحتاج الى كثير نقاش ، لأن المؤلف وضع اصابعه على آيات من القرآن لا سبيل الى الاعتراض عليها ، ولكنا بصدد مناقشة القضية باكملها ، **فهل استطاع المؤلف أن يستخلص النظرية الشـاملة عن النفس الانسانية للاسلام ، ويسبق هذا سؤال : هل الاتجاه الى استخلاص نظريات شاملة من القرآن فى أى من الجوانب اتجاه سليم ؟** .

انى أدع المؤلف يجيب عن هذا السؤال الاخير ، فهو يتفق معنا – كما يشير فى مقـــدمته – فى ان القرآن ليس كتاب نظريات نفســـية او علمية او فكرية ، ولكنه يحوى التوجيهات الـكاملة الكافية لانشاء هذه النظريات ، انه – كما يقول : « كتاب تربية وتوجيه .. وفى سبيل هذا التوجيه يكشف للانسان عن بعض اسرار نفسه واسرار الـكون من حوله ، ويدعوه الى دراسة هـــذه وتلك ليعرف ويتعلم ، ومن ثم يتجه الاتجــاه الصحيح » .

اذن فكيف حاول المؤلف ان يستخلص للاسلام نظرية شاملة عن النفس البشرية ، وهو موقن بأن القرآن – مصدره الاول – ليس مصدرا للنظريات ايا كان لونها ؟ افلم يكن الأجدر به ان تكون محاولته منحصرة فى القاء أضواء من الاســلام على النفس البشرية ، والقرآن الم بالنفس البشرية الماما دقيقا لم يسبق اليه ، اما استخلاص نظرية واجبة التطبيق وذات قواعد راسخة الثبات فى رأى واضعها ، فهى قابلة للأخذ والرد ، ونصوص الاسلام فوق كل اخذ ورد الا فى حدود اختلاف المفاهيم نحوها .

ثم كيف يمنح المؤلف نظريته سمة الشـــمول ، وهو لم يستعرض كل آيات القرآن وكل احاديث الرسول التى تتصـــل بالنفس البشرية ، فاكتفى بأن يلتقط لكل خط من خطوط نظريتـــه آية او اكثر من القرآن ، وتارة حـــديثا او اثنين من احاديث الرسول ؟ .

ولست ادرى بعد ذلك : كيف أغفلت دراســـة المؤلف مجهود اساطين الفكر الاسلامى فى دراسة النفس البشرية ، وفى مقدمتهم **حجة الاسـلام الامام الغزالى** الذى كان اول من وضع اســس علم نفس اسلامى بمعنى الكلمة – كما يقول **الدكتور احمد فؤاد الاهوانى** فى تقـــديمه لكتـــاب « **الدراسات النفسية عند المسلمين** » والرئيس **ابن سينا** الذى جاءت براهينه على اثبات جوهرية النفس وانفصالها عن البدن من البراهين التى تأثر بها فلاسفة غربيون ومنهم **ديكارت** ، كما يذكر الدكتور أيضا ، وكيف أغفل المؤلف بعد ذلك آراء المتصوفة وهم كما يذكر الدكتور الاهوانى – قد حللوا النفس البشرية تحليلا عميقا ، ونزلوا الى اعماقها وأغوارها ؟!.

هذه مجرد ملاحظات ، ليس المقصود منها غمط المؤلف قدره فى دراسته عن النفس البشرية فى اقل من اربعمائة صفحة فى ضوء الاسلام ، **وحسب** هذه الدراسة من التقدير انها ناقشت علماء الغـــرب وفلاسفتهم مناقشة اتسمت بالجدية والعمق دون تهيب او تردد **كالكسيس كاريل** فى كتابه « **الانسان ذلك المجهول** » **وفرويد** فى نظرية « **العقل الباطن** » **وعالم** « **اللاشعور** » وغيرهما من زعماء المدرســة السلوكية ، والمدرسة التجريبية والمدرسة الميكانيكية وما اليها من مدارس علم النفس الغربية فى خلطها العجيب المعيب ، بسبب نظرتها الجزئية واصرارها على ان تفسر الكل الانسانى بالجزء الذى تهتـدى اليه .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

لولا هذا الذي نشر في صفحة الوفيات باحدى الصحف من احتفال أبناء الدكتور زكي مبارك بذكراه الثانية عشرة في منزلهم بمصر الجديدة في يوم ٢٣ يناير الحالي – لولا هذا ما ذكرنا فقيد الادب الذي رحل عنا الى الدار الآخرة في شهر يناير سنة ١٩٥٢ لما اشد جحودنا لرجل كان يملأ حياتنا الادبيـــة ، ويمثل فيها الخصب ، ويشيع فيها الحركة والنشاط .

كانت حياة زكي مبارك تتلخص في كلمة واحدة جامعة هي « الصراع » كان يصارع في معترك العيش وكان يصارع في ميدان الادب . وقد ظل يصـــارع حتى نال منه الجهد في سنواته الأخيرة ، فادمتـــه اشواك كان يبدى لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضي في كفاحه ، ولكن كان يغلبه الترنح الذي اسلمه الى التفكك .

كان زكي مبارك يمثل في صراعه الفلاح المصري أتم تمثيل . جاء من قرية « سنتريس » الى القاهرة يطلب العلم في الجامع الازهر . ولم يكن مثل سائر الطلبة الازهريين في ذلك الوقت ، المقبلين على العلم المأثور الذي يقدمه لهم المعهد التليد ، العاكفين على التحصيل بالطرق الموروثة ، **بل كان من الفئة القليلة مثل زملائه المتمردين من امثال طه حسين واحمد حسن الزيات .** أولئك الذين خرجـــوا من بين تلك الجدران يتلمسون الادب والثقافة الحديثة هنـــا وهناك، وجدوا الادب أولا في الازهر على يد أستاذهم الاول الشيخ سيد المرصفي الذي كان يقرأ لهم كتب الادب القديمة ويدني كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة ، ثم راحو ينشـدون المعرفة في المجـال الواسع .

لم يكن زكي مبارك في الازهر بالطالب الخامل . فان فاته الظهور في الدراسة الازهرية المأثورة فقد تفتح الصبال في مجال الشعر والادب . فكان خطيب المحافل وشاعر المجامع . **وقد خاض الثورة في فجر النهضة الوطنية سنة ١٩١٩ وقذف بنفسه في أتونها المستعر وعانى الاهوال في السجون والمعاقل .**

اتجه الطالب الازهري الفلاح .. زكي مبارك .. صوب الجامعة المصرية القديمة ، فوجد فيهـــا أفقا أرحب ومورداً أعذب ، فعب منها ونهل ، وجاهد حتى استطاع أن يتم دراسته بها . وكان في خلال ذلك يكتب في بعض الصحف مثل « الجريدة » التي تخرج فيها رواد الفكر الحديث في مصر .

وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل الى طلب العلم في باريس ، فكان يعيش هناك على النذر اليسير الذي يظفر به أجرا لمقالاته ورسائله الى بعض الصحف المصرية . يحدثنا عن كفاحه في تلك الفترة يقول :

« كنت اشطر العام شطرين ، اقضي شطره الاول في القاهرة ، حيث أؤدي واجبي ، واجني رزقي . واقضي شطره الثاني في باريس كالطير الغريب ، أحادث العلماء ، واستلهم المؤلفين ، الى ان ينفـــد ما ادخرته أو يكاد ، ثم صممت على أن انقطـــع الى الدرس في جامعة باريس حتى انتصر أو اموت » .

وانتصر الفلاح المصري في باريس ، وحصل منها على درجة « الدكتوراه » وعاد الى مصر ، فتلقفته الجامعة وضمته الى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحا من الزمن . ثم خرج منها في ظروف وملابسات من صراعه المتصل وبدافع من طبعه القروي العنيف الذي أبى أن يتلاءم مع ما يراه من أوضاع فاسدة وأمور لا يرتضيها ذلك الطبع الذي يصوره الاستاذ الزيات بقوله عنه : « **انه لو اســـتطاع ان يتملق الظروف** ويصانع السلطان ، ويحقق شيئا من فن الحيـــاة لاتقى كثيرا مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة **الصراحة** » ويعبر عنه بقوله « وانا لم انجح في شيء من ذلك لان استقلال ارادتي حال بيني وبين الاندماج التام في هيئة من الهيئات ، أو حزب من الاحزاب ، **فانا بين المؤمنين ملحد ، وبين الملحدين مؤمن ، وانا بر عند الفجار ، وفاجر عند الابرار ، وانا في كل بيئة اجنبي ، وفي كل أرض غريب » .**

وراح يتنقل بين الاعمال والوظائف حتى استقر به الامر أخيرا مفتشا للغة العربية بوزارة المعـارف (وزارة التربية الآن) وتشعبت جهوده ، فكان يعمل في كثــير من النواحي ، ويتنقل بين التــدريس والصحافة والتأليف ، أو يجمع بينها جميعا .

شق زكي مبارك الأديب الفلاح طـــريقه بقلمه حتى وصل الى الصـدارة في عالم الأدب العـــربي الحديث ، كما يشق الفلاح الارض بفاسه كي يستنبط منها رزقه . وكان زكي مبارك يحرث حقله في الادب ليقيم خطوطه ، والويل لمن يعترض طريقه ، أو يقترب من حدوده ، ولم يفته طبع الفلاح أحيانا في الجور

على حدود جاره وقتاله اذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا فى صياله مع الأدباء ، ذلك الصيال الذى كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت » .

يحدثنا الاستاذ الزيات عن محاولته ترويضه وهو يكتب فى الرسالة ، ويصفه بهذا الوصف المحدد اذ يقول : « **ان زكى مبارك لون من الوان الادب المعاصر لابد منه ولا حيلة فيه ، وهو الملاكم الادبى فى ثقافتنا الحديثة ، والرياضة - كما تعلم - ضرورة من ضرورات الحياة اللازمة للعقل والجسم . اما عنفه وشماسه فهما الصنيع المميز للونه . على انه اول الشاهدين على أن صفارتى قد بحت من طول ما اهابت به وهو فى قفازه السنتريسى يهدر فى المجال بين الحبال مقضيا بعض الاغضاء عن قواعد الملاكمة** » . ويصور زكى مبارك صنيعه هذا وفلسفته فيه ، بهذا التصوير اذ يقول : « **الشجرة لا تحفظ الأيدى التى تتعهدها بالرى والعناية ، واصلاح التربة ، والصيانة من العواصف واضرار الرياح ، ولكنها تحفظ اليد المعتدية التى تأخذ خنجرا وتحفر اسم صاحبها على ساقها بالنحت والتكسير من غلافها والسطو عليها** » .

ولم يأسف زكى مبارك على مافاته مما يحظى به المنافقون ، ويعبر عن ذلك فيقول : « ... فليظفر من شاء من طيبات الحياة تحت ستار التقى والدين فتلك حظوظ سافلة لا يفرح بها الا الضعفاء الذين يعرفون أن مصارحة الجمهور عبء ثقيل لا ينهض به غير الاقوياء » .

ولكنه يشعرنا بالمرارة والأسى له اذ يقول : «**لو كنت اتجرت بالتراب لصرت من كبار الاغنياء،ولكنى شغلت نفسى بما لا يفيد ، فذرعت فضاء الله فى فرنسا الى ان سبحت فى بحر المانش،وذرعت فضاء الله فى العراق الى ان سبحت فى شط العرب ، والفت الثين وأربعين كتابا ، واشتغلت بالتدريس عشرين سنة ، وكانت صراحتى تقطع رزقى** » .

وهكذا كان زكى مبارك حرا فى ابداء رأيه عنيفا فى معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثنى عليه غيره فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده الجحود فى الناس ، فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم ، وكان يلطف عنفه ويسوغ استعلاءه روح خفيف ودعابة مستملحة .

والواقع أن زكى مبارك الكاتب العظيم كان قد انتهى قبل وفاته بسنوات ، اذ ناء بأعمال الكفاح وضعف أمام القوى التى يصارعها . ويحدثنا هو عن هذه النهاية ، يقول : « وانا الآن برم ضيق الصدر ، لانى أريد مواصلة البحث والدرس،ولكنى لا أجد لدى قدرة على ذلك . وماذا يكون الكاتب أو المفكر اذا كف عن الانتاج ؟ هل يكون شيئا أكثر من ذبالة (بضم الذال) انسان ؟ وهل أرضى بمثل هذه المكانة ؟ اذن فليكن لى فى الخمر ملجأ وملاذ أقضى فيه ما بقى من ثمالة العمر دافعا ثمن العلم الذى حصلته » .

وكان يردد فى كتاباته الاخيرة المفككة عبارات قاسية بالنسبة للمرأة ، فأثار ذلك الكثيرين والكثيرات، وسخر منه وحمل عليه بعض الكتاب . **واستمر هو فى عناده وعنفه حتى كتب مرة يقول : « لقد كان ابى يجرب نعله الجديد على راس كل زوجة من زوجاته»**.

وكأنه كان هو كذلك يجد لذة فى أن يجرب قلمه على رءوس الساخطين عليه ..

وبرغم ذلك ظلت روحه الخفيفة فى الكتابة تجذب الكثيرين من قراء حديثه ذى الشجون فى جريدة البلاغ الذى لم يكف عن كتابته حتى انتزع الموت القلم من يده المرتعشة ..

قضى الدكتور زكى مبارك ، بعد حياة عريضة ، أغنى فيها حياتنا الادبية بثروة كبيرة من المؤلفات فى مختلف الفنون الادبية من نقد ودراسات وشعر ووجدانيات .

كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيما يكتب، فان كان قد فاته ما أدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تغنى به طول حياته من الخلود .

فى ركب البعث العربى

كتبت فى مقال بالرسالة (٢٩ يناير سنة ١٩٥١) ما يلى :

« اننى لم أيأس ولن أيأس ، من هذه الامة العربية ، بل اقول ان كل شىء يدعو الى التفاؤل ، وكل ما منيت به هو سحب لابد أن تنقشع . **لقد كنا قبل مايو سنة ١٩٤٨ لا شىء ، ثم صرنا بعد ذلك شيئا .. لم نكن قبل موجودين لاننا لم نكن نعمل ، ثم تحقق وجودنا لاننا عملنا واخفقنا** .. ولا بأس أن

رسالة العلم

ضرورة التقارب بين الأدباء والعلماء

للدكتور: محمد محمود غالى

ان التطور الحادث فى العالم فى البحوث العلمية الجديدة ، وما حققه الانسان فى العصر الذى نعيش فيه – عصر الذرة والاقمار المصنوعة – يدفعنى وانا المشتغل بالعلوم ان ادعو ادباءنا للاطلاع على هذا التطور الجديد الذى تأثر به ادباء العالم .

كما ان ما يكتبه اهل الادب والاجتماع والسياسة من الكتاب المحدثين امثال سارتر الفرنسى وبرتراند رسل الانجليزى وليتولى الافريقى من الكتاب الذى حاز جائزة نوبل للسلام العام الماضى يحفزنى أن أدعو العلماء فى بلادنا للاطلاع على المؤلفات الجديدة فى الفلسفة والفكر فيقترب الطرفان بعضهم من بعض ، وتقترب من العالم الصاعد فى تفهم المواضيع الجديدة علمية كانت أم أدبية .

هذا التقارب موجود فى أوربا وروسيا وامريكا ، وهذا التجاوب واضح فى الكثير من مؤلفاتهم بل وفى اذاعاتهم ، ولدى أمثلة كثيرة أذكر البعض منها :

بين يدى ترجمة فرنسية لكتاب لهانس ريشنبخ الفيلسوف الالمانى ، وهذا الكتاب القيم هو سلسلة اذاعات بلغت الاربعين اذاعها هذا العالم من راديو برلين فى شتاء ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، وقصد بها فريق الادباء الغير ملمين بالعلوم الطبيعية الحديثة وما جرى فيها من تطورات ، وفى هذه الاذاعات سلط الضوء على تطور العلوم الطبيعية ، واعطى فكرة عن النتائج التى وصل اليها الباحثون سواء فى الناحية الفطرية او النواحى التجريبية ، وبين كيف أن النظريات الطبيعية الحديثة والتجارب المعملية تعطيك أقرب الصور لهذا العالم الذى نعيش فيه .

لقد اقتنيت هذا الكتاب سنة ١٩٣٥ ، وعشت بين صفحاته الممتعة الساعات تلو الساعات ، وفهمت منه أحيانا ما تعذر على وانا فى صفوف الدرس ، وهانذا اعيش فيه مرة أخرى ، وليس

نخطىء ونخفق ، على أن ننهض وننفض الغبار ونستعد ، وانما اليأس كله أن نتفكك ونتوانى وننام .

« ان هذه الامة العربية أمة واحدة ، وهى جسم واحد ، لا ينبغى أن يفرق بين أعضائه ما يتسد من ايذاء بعضها لبعض ، **فقد تعض الاسنان اللسان فلا تخلع الاسنان .. وسينتهى ألم اللسان !** ولو أننا جعلنا مثل هذه الامور سببا الى التفرق لما أبقينا على البلد الواحد ، بل الاسرة الواحدة ، فلو أخذنا بما يحاجنا به المبطلون فى الوحدة العربية ، مما حدث فى الظروف الاخيرة التى لابست الحركة العربية ، لما أبقينا على مصريتنا ، لما يلابسها فى بعض النواحى من بغى وفساد » .

والآن يسرنى ، كرجل نافح بقلمه مع المنافحين بأقلامهم فى سبيل العروبة الخالدة ، أن يصل البعث العربى الى ما وصل اليه أخيرا من جمع الكلمة وانتهاء ألم اللسان !

كان الكفاح يسرى وينبض فى القاعدة العريضة للشعب العربى دون أن يجد قادة ، فتعثر وأخطأ الهدف . **والآن ما أسعدنا بالقادة يرفعون الراية متحدين، وما أسعدنا بما نحن مقبلون عليه من عظائم الامور !**

وقد تفاءلنا أيام التفكك والانخذال ، والآن .. ما أعظم تفاؤلنا !

المجال هنا لأسرد ما بين صفحاته من أحداث مثيرة وعبارات رائعة ووصف يعجز عنه القلم

من ذلك تعلم كيف ان أكبر العلماء والفلاسفة يقومون باذاعات هي في صميم العلوم المبسطة ، ويتابعها الأدباء في كل العالم مثل هذه الاذاعات صدرت في كتب شتى وترجمت لمعظم اللغات الحية في العالم هذا مثال من تتبع الأدباء لجهابذة العلماء وفي المثال الآتي أبين كيف أن العلماء بدورهم يتابعون في شوق كبار رجال الفكر من الأدباء المعاصرين وعلماء الاجتماع ويقبلون على سماعهم ، وهو مثال حي أسوقه للقارىء عاصرته ولا أنساه :

أذكر يوما في السوربون ومنذ أكثر من ثلاثين عاما دعت رابطة الطلبة بكلية العلوم وجمهرة من الاساتذة الطلبة للاستماع الى محاضرة للعالم الفذ « لانجفان » ، أستاذ الفيزياء بكلية فرنسا ، واختاروا لهذه المحاضرة أحد المدرجات الكبيرة في السوربون ، وفي الساعة التاسعة مساء الساعة المحددة لبدء المحاضرة كان المكان غاصا بالمستمعين حيث بلغ الحاضرون حسب تقديري حوالى الالف ، وكان عنوان المحاضرة « بعض نواحي الكشوف العلمية الحديثة » ، وكان من الطبيعي ان يكون الجمهور الذي حضر من العلماء والمشتغلين بالعلوم فالكل يعلم أن من داخل معامل «لانجفان» تم الكشف عن موضوع نقل الحركة باللاسلكي . فكان هو وتلاميذه من أوائل العلماء الذين كان لهم الفضل في امكان تسيير باخرة من الشاطىء مثلا دون أن يتحكم في سيرها أو ايقافها انسان من الداخل ، أو تحريك طائرة من حجرة على الارض دون ان يكون بها طيار ، وقد حدث عندما كانت تعمل شركة القاهرة للمنتجات المعدنية بامبابه في صناعة قذائف للطائرات للجيش المصرى لحماية مصر من الطائرات المغيرة أن أصعدنا في الاسكندرية نماذج من الطائرات الصغيرة التي تكبر قليلا عن لعب الاطفال وسيرناها فوق البحر الابيض بوسائل لاسلكية وكنا نأمرها وتغير اتجاهها كما نريد ونعيدها الينا في الزمن الذي نريده ، عدة مرات بنجاح لا يتطرق اليه أي خلل ، ولايفوتني ان أذكر أن الفضل في هذه العملية كان لمهندسي وضباط الجيش المصرى الذين زودونا بكل ما يلزم لهذه العملية .

وكنت أعلم قبل محاضرة « لانجفان » ، أن أحد الباحثين ممن هم حوله وفي داخل معامله الشهيرة أثبت أن كرة من النحاس وليست من الحديد تكتسب خواصا مغناطيسية عند دورانها بسرعة كبيرة ، وكانت هذه الكرة الخطيرة التي في حجم البلية التي يلعب بها الاطفال تدار بتيار هوائي قوي ، تلك كانت أخبار معامل «لانجفان» نتنسمها ونعرفها تارة من الاوراق العلمية المنشورة وتارة من احاديث الاصدقاء او من زياراتنا لهذه المعامل .

ثم ان «لانجفان» فوق ما تقدم محدث من الطراز الاول ، فالطبقة التي تسعى لتستمع اليه طبقة من نوع معين ، وغالبيتهم يمتون للعلوم بصلة وللحديث منها على الخصوص .

وفي الساعة التي كانت محددة للمحاضرة ، وعندما اكتملت هذه المئات من المستمعين وأخذوا اماكنهم واذا باحد المشرفين على هذا الحفل العلمي الكبير يصعد المنصة ليعلن أن العالم « لانجفان » مريض وأنه سوف لا يحضر لالقاء محاضرته ، ولكنه أعلن في الوقت ذاته أن البروفسير « بابيه » ، استاذ علم الاجتماع قد تطوع لالقاء محاضرة عن « عظماء الرجال » ، موضوع بعيد كل البعد عن المحاضرة العلمية التي كان سيلقيها «لانجفان» وعن دائرة الفكر التي حضرت من اجلها هذه المئات .

أذكر تماما انه لم يخرج من هذا الجمع الحافل أكثر من ثلاثة أو اربعة، وظل الباقون وهم كما ذكرنا حوالى الالف يستمعون في اعجاب للاستاذ « بابيه » كيف يعرف الرجل العظيم وكيف يستعرض أعمال عظماء الرجال ، ولماذا هم عظماء في التاريخ .

ولم تجتذب باريس الصاخبة بمقاهيها المنتشرة في كل مكان ، وكبارية‌ها الموجودة في جميع الاركان ومسارحها ومطاعمها هذه الجموع من العلماء وطلاب العلم وهذه الصفوة من المتطلعين للمعرفة ، بل ظلوا في صمت يتابعون «بابيه» ، ذلك القطب الاجتماعي الذي تتلمذ عليه بعض اخواننا المصريين واستفادوا وأفادوا ، أذكر منهم صديقي الدكتور يوسف مراد أستاذ علم النفس في جامعة القاهرة وصديقي الدكتور مصطفى زيور العالم والطبيب النفساني المعروف الذي درس الآداب كاملة والعلوم والطب .

أذكر انني وقد كنت مهندسا ناشئا أغرق في

الحجارة وفى مياه النيل وطالبا فى العلوم أقترب سنة بعد أخرى من علوم الذرة ، وبعيد كل البعد فى ماضى وحاضرى عن علم النفس والعلوم الاجتماعية ، ولا أمت لهما بصلة من قريب أو من بعيد ، أذكر التى تابعت « بابيه » فى شوق ، وتعمقت معه حيث تعمق وسرت معه حيث سار ، وكانت فائدتى فى هذه الليلة مما زاد فى ثقافتى بل شوقنى لزيارة معمل علم النفس التجريبى الذى زرته فى ذلك الحين والذى تابعته بعد ذلك بثلاثين عاما فى بعثتى الثانية فى باريس عندما كنت مديرا عاما لمصلحة النقل وعندما مارست كيف يمتحنون سائقى الاوتوبيس باجراء امتحان دقيق كهربائى لقوة اعصابهم الشىء الذى لم أستطع لظروف كثيرة أن اطبقه فى مصر ، وغير هذا مما يخرج بنا عن هذا المجال .

المهم فى كل ما ذكرت كيف حرصت طائفة من العلماء وقد حضروا بغرض الاستماع الى اسطوانة علمية من كبير من العلماء المعاصرين فاستمعوا عن غير قصد الى قصة أخرى من قصص الآداب والاجتماع بعيدة كل البعد عن الموضوع الذى حضروا من أجله .

كذلك الحال فى كثير من محاضرات الاجتماع ـ (الآداب أو الفلسفة) ، كم من مرة دخلنا نحن طلبة العلوم قاعة « ليار » نستمع الى عرض رسالة من رسائل الدكتوراه فى الفلسفة أو نتابع حقبة من حقبات التاريخ ، وقد يدوم العرض وتدوم المناقشة خمس أو ست ساعات تتخللها استراحة ، ولا نمل الاستماع ولا نعرض عن الموضوع ، وهى دراسة لا تخصنا ولا نحن ملزمين بها ـ كذلك كم شاهدت من أصدقائى من طلبة الآداب يحضرون فى كلية العلوم على « فابرى » فى الضوء وكوتون فى الكهرباء وجيبيه فى الذبذبة ، هذه الدروس الفريدة التى وان تخللتها المعادلات والمتساويات والدوال فانها لا تخلو عند تعليق الاساتذة عليها من تلك الجمل الرنانة والعبارات الساحرة التى قد تدخل فى صميم الحياة .

لذلك لم أدهش عندما سافر من مصر الاستاذ لالاند عضو المجمع الفرنسى ، وكان يقوم بتدريس الفلسفة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة أن طلب من مجلس الكلية أن يضيف مادة جديدة لطلبة السنة الثانية قسم الفلسفة سماها « مقدمة الرياضة والطبيعة لعلم الفلسفة » .

وقد استدعتنى الكلية بعد سفره فى سنة ١٩٣٩ لتدريس هذه المادة الجديدة التى تربط الآداب والفلسفة بالعلوم البحتة ، وقمت بتدريس هذه المادة عامين متتاليين ، وانقطع هذا الحبل العلمى بسبب سفرى للعراق وندبى هناك أستاذا للفيزياء ، وكان الذى نقل الى رغبة لالاند ومجلس الكلية الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور الذى كان استاذا بالكلية وعضوا بمجلس الشيوخ وهو الآن سكرتير عام المجمع اللغوى ، وهو الذى استمتعنا منذ أكثر من ثلاثين عاما بالاستماع الى رسالته فى دكتوراه الدولة عن « الفارابى » فى قاعة « ليار » التى ذكرناها ـ وكان مسيو لالاند نفسه رئيس المحلفين .

تلك هى الروح فى أوربا ، وهى الروح التى ارجو مخلصا أن تحل بيننا فى مصر أم المدنيات وفى بلاد الشرق ، فتسرى بين علمائنا وأدبائنا ، ويتأثر بها الطلاب فى الجامعات وفى المعاهد ، وهذه أمثلة مما عاصرته وأنا فى سن الشباب لم أدخل دور الكهولة أو الشيخوخة بعد ـ أما اليوم فهذا التبادل الثقافى بات الزم من اى زمن مضى ، ذلك أن الطفرة التى حدثت فى السنين الاخيرة سواء فى ناحية الاقمار المصنوعة أو فى ناحية الذرة ، والكشف عن القنابل النووية الخطيرة التى يتعلق عليها مصيرنا جميعا تجعل لزاما على المشتغلين بالآداب أن يتابعوا عن كثب التطورات الجديدة والكشوف الحديثة ليتأثروا بها فى كتاباتهم والا فسيكونون فى عالم غير عالمنا .

لقد كانت هذه التطورات متتابعة وهذه الكشوف مفاجئة وهى التى أنوى قدر استطاعتى أن أتناولها على صفحات الرسالة .

ان الوطن العربى دعامته الاساسية مجموع ما يعرفه الفرد من علم ومن ثقافة وما يتصف به من أخلاق فليقبل العلماء والطلبة وأفراد الشعب على ندوات الادباء ومحاضراتهم وليقبل الادباء وأهل الفكر والمثقفون على ندوات العلماء ومحاضراتهم واحاديثهم ولتكن احاديثنا هذه ضمن ما يتخذه المثقف لنفسه من عدة وما يضيف به الى معارفه ولو القدر اليسير .

الفكر فى أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحى

الفنون الشعبية

تستضيف الجمهورية العربيـة المتحدة الآن فرقا كثيرة من شعوب مختلفة وذلك فى المهرجان الدولى الاول للفنون الشعبية ٠٠ وتقدم هذه الفرق فنونها الشعبية ـ التى تعبر عن القطاعات المختلفة لجماهير شعوبها ٠٠ كل حسب الطريقـة التى يمارس بهـا حياته ٠٠

ولما كان هذا الاسبوع ـ هو اسـبوع الفنـون الشعبية ٠٠ بالقاهرة فقـد توجهنا الى ندوة نادى القصة الاسبوعية التى اشترك فيها الاستاذ صالح جودت والاستاذ ابراهيم الحضرانى الاديب والشاعر اليمنى المعروف الذى يشغل فى نفس الوقت منصب نائب وزير الاعلام فى اليمن ـ واشترك فى الندوة كذلك الاستاذ عباس خضر والاستاذ فوزى العنتيل ٠٠ وكان موضوع المناقشة هو «الفنون الشعبية» ٠

وقد افتتح الاستاذ صالح جودت المناقشة بكلمة عن الفنـون الشعبية مبينـا ـ أن مصر ـ من أولى الامم التى قامت فيها هذه الفنون ـ وذلك لان الفن الشعبى يقوم دائما على الاساطير الدينية ـ وقد أخذ الاغريق هذا الفن عن مصر وتلاهم فى ذلك الرومان ـ واستمر الفن الشعبى الاسطورى كذلك الى أن بدا الناس يشكون فى الفكرة الدينية ـ ومن ثم ـ بدات الملهاة وغيرها من الفنون كالشعر التمثيلى ٠٠

ويرى الاستاذ صالح جودت ـ أن الفن الاسلامى ـ قد اخذ الـكثير من الفن المصرى القديم ٠٠ وهو استطراد له ـ فالفن المصرى القديم الذى عرف بالفن العمودى ـ تراه فى الفن الاسلامى يأخذ طابع العمود فى صورة المئذنة ٠

ثم انتقل الاستاذ صالح جودت الى الادب الشعبى ـ وحاول أن يضع له تعريفا محددا ـ فذكر تعريفين وفضل الثانى منهما ٠٠

أولا ـ ان الادب الشـعبى هو الذى يكتب بلغـة الشعب ٠

ثانيا ـ انه هو الذى يكتب من أجل الشعب ٠

وقد عارض الاستاذ عباس خضر هذين التعريفين للادب الشعبى ذاكرا أن أى تعريف للادب الشعبى يحتوى على ثقوب كثيرة يجب مناقشتها ـ فكون الادب الشعبى هو ذلك الذى يكتب بلغـة الشعب يتنافى ذلك مع أدب نعرفه جميعا مثل أدب عنترة ـ وأبو زيد الهلالى وقصص الف ليلة وليلة وهو فى مجمله أدبا فصيحا ٠٠

واذا عرفنـاه بانه الادب الموجه الى الشـعب ـ فكل الادب موجه الى الشعب ـ سواء أكان موجها للشعب ليقراه أو أنه تعبير عنه ٠

وتساءل الاسـتاذ عبـاس خضر : اذا كان الامر كذلك فما هو الادب الشعبى اذن ؟

انه هو كل ما ليس له مؤلف معروف ٠٠ وهـو فى نفس الوقت أدب جماعى ٠

بمعنى أنه وضع بذرته فرد مجهول ـ ولا يكون أدبا شعبيا الا اذا تداوله الناس وتوارثوه وتداوله فى حد ذاته يكسبـه اضافات جديدة فـكل جيل يضيف اليه من عنده حسب البيئة التى يردد فيها الادب الشعبى ٠٠ فشاعر الربابة مثلا ٠٠ يتناول من الادب الشـعبى ما يرضى ذوق مستمعيه ٠٠ حاذفا منه ومضيفا ٠٠

وأوضح الاستاذ عباس خضر أن ادباء مثل بيرم التونسى وصـلاح جاهين والابنودى ليسـوا شعراء شعبيين ـ وانما يجب أن نطلق على أعمالهم الادبية ـ انها أدب باللغة العامية فقط ٠٠ لان هذه الاعمال ـ أعمال أدبية ذاتيـة ـ من حيث كونها منسوبة لاشـخاص معينين ٠٠

وتطرق الاستاذ عبـاس خضر الى أعمـال أدبية معروفة ٠ مثل أحلام شهر زاد ـ للدكتور طه حسين وعنترة وجحا فى جنبـلاد ـ للاستاذ محمد فريد أبو حديد ٠ وسيف ابن ذى يزن للاسـتاذ فاروق خورشيد ٠

واوضح ان هذه الاعمال مسـتوحاة من الأدب الشعبى ولكن مؤلفيها ـ أعطوها بنـاءا جديدا وهم فى نفس الوقت لم يلتزموا بالأصل .. وهذا النوع من الأدب ـ بعد التطوير ـ والبنـاء الجديد ـ

لا نستطيع ان نطلق عليه اسم ادب شعبي ـ ولكنه ادب ذاتي ينسب للأديب الذي كتبه ..

اما الاستاذ فوزى العنتيل .. فقد راى أن اصطلاح فنون شعبية فى حد ذاته يستخدم للدلالة على فنون متعددة كالرقص الشعبى والغناء الشعبى .. الخ ..

فالرقص مثلا لا يمكن ان يؤدى الا اذا كانت له مقومات أخرى كالملابس مثلا ـ فصانعوا الملابس ـ لا نستطيع أن نطلق عليهم اسم فنانين شعبيين ـ لأن الفنان الشعبى ـ فنان ومبدع فى نفس الوقت ـ ولكن صانع الملابس هذا ليس مبدعا ولكنه منتفع ـ وبمعنى آخر فهو حرفى ـ ومن ثم تستطيع ان تقول ـ فنون، وحرف شعبية ـ بدلا من فنون شعبية فقط

اما عن الأدب والموسيقى وغيرها من الفنون الشعبية فيمكن ان نطلق عليها اسم تراث شعبى ـ وهذا التراث الشعبى يمكن ان يكون مجالا خصبا للاستيحاء والابداع الفنى وذلك بالاضافات الجديدة .

وحدثنا الاستاذ ابراهيم الحضرانى ـ نائب وزير الاعلام اليمنى ـ عن الفن الشعبى اليمنى .. وكيف ان اختلاف العادات والتقاليد وطرق المعيشة والحياة فى أجزاء اليمن المختلفة ـ قد اثرت مجتمعة فى الفن الشعبى اليمنى .. **ولكن هناك رقصة شعبية مشهورة فى اليمن وهى رقصة « البالة » وهذه الرقصة عبارة عن صفين متوازيين من الرجال والنساء .. وتبدأ دائما بالشعر .. ويبدأ الشاعر فيرتجل حوالى خمسة ابيات ـ وتكون على شكل المساجلات ـ يفخر فيها بقبيلته ـ ويردد الراقصون بعده آخر بيت قاله .. ثم يبدأ الرقص ـ وهو دائما هادىء فى البداية حسب ترديد بيت الشعر ـ ثم يبدأ الراقصون فى ترديد هذا البيت بسرعة اكثر ـ ثم اكثر فاكثر .. وهكذا الى ان يحتدم الرقص ويتخذ صفة السرعة والعنف .**

وكثيرا ماتقوم الحروب بين القبائل بسبب هذا البيت من الشعر ..

اما عن الشعر الشعبى فى اليمن فان لكل جزء فى اليمن طابعه المميز فى هذا الشعر ـ من ناحية المعنى والأداء والاسلوب . فشعر المدن ـ يكون دائما باللغة الفصحى .

وهو فى بعضها كصنعاء شعر رقيق .

ولمناطق الشمال الجبلية شعر ينبع من طبيعة الجبال الوعرة وتنحصر معانيه فى الأنفة واباء الضيم وغير ذلك من مظاهر الحياة القبلية ـ فقبائل شمال اليمن لا تجيد وسيلة من وسائل الحياة غير الحرب صناعة وحياة ـ وولاء الفرد لقبيلته فى اليمن مضرب الأمثال ـ فهذا شاعر من قبيلة مراد يصور ـ صبره على القبيلة وولاءه لها فيقول :

وانا حمول السفه للجار وابن العم

اصبر على البينة وأدحق على الهامى

وهو يريد ان يقول .. اننى اتحمل السفه الذى يصدر على من جارى او ابن عمى ـ اصبر على ما يظهر منه وادوس على ما يخفى .

« مع فرقة الفنون الشعبية البلغارية »

وامتدت جولتنا فى تتبع الفنون الشعبية هذا الأسبوع الى مسرح الأوبرا حيث تقدم فرقة الفنون الشعبية البلغارية رقصاتها وفنونها .

والمرء لا يستطيع أن يخفى اعجابه وتقديره لهذه الفرقة فقد بلغت رقصاتها درجة عالية من التناسق وسرعة الحركة ما جعلها جديرة بالاعجاب الذى نالته ـ ففى بعض الرقصات كان على المسرح مايقرب من خمسين راقصا وراقصة ـ كلهم ـ كآلة واحدة تتحرك ـ **ولم يحاول بعضهم مثلا ان يستحوذ على اعجاب المشاهدين وانما كلهم متضامنون فى اخراج عملهم الفنى المتكامل فى اروع صورة يمكن ان يشاهدها الانسان ـ ومع فرقة الفنون الشعبية البلغارية ـ يستطيع المرء ان يخرج بصورة متكاملة لحياة شعب بلغاريا الصديق** ـ فهذه رقصة عرس ـ وتلك رقصة الرعاة ـ وغيرها رقصة الحصاد .. الخ .. الخ ..

وفى الغناء الشعبى البلغارى تجد مخارج الصوت واحدة من حوالى ثلاثين مغنية وبموسيقى بسيطة خالية من اية تعقيدات آلية ـ يمكنك أن تشعر انك هناك فى صوفيا ـ او فى مراعى بلغاريا .. اننا اذا اعتبرنا الفن بوجه عام معنى ساميا جميلا وانسانيا فى نفس الوقت ـ غير مقيد بحدود او نظم معينة للحكم ـ فالرأى عندى أن الفن الشعبى ـ فن أكثر صدقا وشمولا من اى فن انسانى آخر لأنه فن الحياة ـ فن التجارب والانطلاق هو فن البشر كل البشر فى اى أرض كانوا .

ان الطبلة ـ والناى ـ ورقصة البذر ـ ورقصة الحصاد ـ هى كلها اشياء يمارسها الانسان فى كل مكان ولن تجد فرقا كبيرا فى غير بعض وسائل التعبير **فتحية الى فرقة الفنون الشعبية البلغارية .**

البريد الأدبي

برقية نقدية

جاء في قصيدة « من وحي المؤتمر » للاستاذ محمود غنيم التي نشرت في العدد الماضي هذا البيت ..

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فبالاكراه نقتنع

وقد جاءتنا البرقية النقدية الآتية .
من الاستاذ احمد السقاف وكيل وزارة الثقافة بالكويت ..

« بلغوا محمود غنيم فلا والله نقتنع »
فهو يرى أن يكون البيت هكذا :

ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فلا والله نقتنع

***

حول « أسئلة من بور سعيد »

استاذنا الدكتور محمد احمد خلف الله .

جميلة جدا هذه اللفتة التي صدرت منكم في « اسئلة من بور سعيد » وهذه كلماتي مجرد راى القارىء من الزاوية التي يطل عليها بدون ان اتقمص شخصيته من وجه اليه السؤال .

١ — عن المراهقة الفكرية : ربما كانت هذه الجملة بصياغتها السابقة . تبدو للوهلة الاولى او للنظرة العاجلة كانها نظرية معقدة . ولكنا لو بسطناها لبان وضوحها . فالطفل وافعاله وتصرفاته بكل ضروبها والوانها تكون منه طبيعية حتى ولو كانت لا معقولة . والسبب انها صادرة عن طفل لا يعى ما يصدر عنه ولا يعرف كنهه . يقابل هذا : تصرف العاقل الرشيد وفعاله . فهو مسئول وملتزم . ان سلك سلوكا غير طيب او مجانب للصواب . فهو يعرف سلوكه . قد يتصيد له المبررات او يلتمس له المعاذير . ولكن النتائج على اى حال مقرونة بفعاله وملزمة له . المهم انه عارف لموضع خطوه واماكن سيره : وبين هذين المراهق الذى يضفى على كل ما يراه نظرة عاطفية بحت . التفكير لاهف يقطر شهوة . والخيالات والاحلام التى يرتادها لا تخطر على بال وليس لها من الحقيقة والواقع اى ظل والاندفاع وراء اى بارقة تلوح فى تهويم وضبابية بدون تقدير او حسبان لاى شيء : اليست المراهقة فى دنيا الفكر مطابقة لهذا .

٢ — « القصة والرواية والمسرحية والدراسات والبحوث والموسيقى كلها قد استقر كيانها وهدأ خوفها من ظل يد المجلس الرحيمة » .

فالقصة والرواية والمسرحية وايضا الدراسات والبحوث بالمعنى الشامل الموجود الآن اى بالطريقة الاكاديمية التى تخطط للبحث والدراسة داخل اطار موحد . وكذا الموسيقى كلها فنون مستحدثة ليس لها سند من تراث ماضينا . فهى وليدة سنين غير بعيدة . حتى سند الموسيقى ما زال فى انتظار شمبليونه ليفك طلاسمه ورموزه الراقدة بين دفتى كتاب الاغانى . الا الشعر بلبلاسي فانت شاعر وتعرف ان كل معاركنا الفكرية فى الجديد والقديم لم تقم الا على الشعر وليست معارك : الشعر الجاهلى . ووحدة القصيد . والشعر المهموس . والسرقات الادبية . والموازنات والوساطات والبحور من رمل الهزج . وغير هذا كثير . ليس بعيدا عن اذهان المتابعين للفكر والادب . انبعد كل هذا التاريخ الطويل العريض الضارب فى اغوار الماضى تحمل المجلس الاعلى قضية حسم مشكلة الشعر .

السؤال حقيقة غريب وعجيب من شاعر فالشعر الحديث الكثير مما نشر منه لايشرف ان يكون شعرا بل اننى استطيع ان اقول ان اجمل واحلى ما فى الشعر الحديث هو الدفاع النثرى عنه . فى قضايا الشعر المعاصر لنازك ومقدمات ديوانى الناس فى بلادى ومدينة بلا قلب وكتابات ادونيس ولويس عوض ويوسف الخال ومندور وبدر ونشأت والنقاش اما موقف استاذنا العقاد معروف من قديم فهو رائد للشعر واول داع لوحدة القصيدة . الا ان اللقاء الحقيقى بين العقاد والشعر الحديث . شابته شوائب كثيرة . ودع صالح جودت فهو مبتوت الصلة بالعقاد فكريا حتى ولو ادعى غير هذا .

محمد الشاذلى
شركة شاهر : القاهرة

نقد في قصيدة

في العدد ١٠٤٠ من الرسالة الغراء الصادر في ١٩ ديسمبر ١٩٦٣ م ٠ قصيدة تحت عنوان «أصابع يد واحدة» للاستاذ محمد الجيار لي عليها التعليقات العابرة التالية :

١ ـ قال الشاعر في مطلع القصيدة :

«صـــمودا» فان ذرا الميعـــاد تقترب
«صمودا» ولا تخش شيئا النـــا عرب

فحرف الصاد في «صمودا» لامحل له في تفعيلة البحر البسيط الذي نظم الشاعر عليه قصيدته ٠

٢ ـ وقال الشاعر في بيت آخر :

فسيبون يا قبضــة للارض ترفعهـــا
الى غد ما طوته في المــدى « الحجب »

فـ «الحجب» هنا بضم الحاء والجيم جمع حجاب وفعلها حجب يحجب بضم الجيم ٠ وكان من الافضل لو استعمل «الحقب» لان الحقب هي التي تطوى في المدى ، والحجب تحجب ولا تطوى ٠

٣ ـ وفي بيت آخر قال :
قد عدت يابردى «فاســكب» على ظمئى
نشيدك الحلو ٠٠ «يشدو» في فمي الادب

فالفعل المضارع (يشدو) واقع في جواب الطلب الذي فعله «فاسكب» مما يجعله مجزوما بحذف حرف العلة «الواو» من آخره ٠ وفي هذه الحال لا يجوز للشاعر أن يحطم اللغة في سبيل الحفاظ على الوزن٠

***

٤ ـ وقال في بيت آخر ايضا :

(ضم) الفرات ذراع النيل في (وله)
(على) ذراعـــك ٠٠ حتى (هزني الطرب)

وفي الواقع معنى هذا البيت غير متناسق ، اذ استعمل الشاعر كلمات في معان لاتمت لها بصلة ، فالفعل الماضي (ضم) بمعنى (جمع أو أخـــذ الى) والذراع لاتضم على الاخرى وانما تضم الى الاخرى، والصواب هو أن يبدل الشــاعر حرف الجر (على) بحرف الجر (الى) وهذا يعني التعاضد والقوة ٠

واستعمل ايضا كلمة (وله) بمعنى (شــوق) ٠ وهذا يفسد جمال المعنى وتذوقه ، فالوله هو الهيام في الشيء وليس الشوق اليه ٠

وكذلك استعمل عبارة (هزني الطرب) ، وهنا في معنى هذا البيت لايجوز اســتعمال معنى الطرب ، فالطرب ينتج دائما عن الاستماع بالاذن وليس الرؤيا بالعين ، والشاعر هنا يرى بعينيه الانهار تضـــم الذراع الى الذراع ، وليس يستمع الى نشيد أو غناء فيهزه الطرب ٠

الكويت ـ يوسف حيمور

***

جائزة شوقي

الاستاذ الفاضل عباس خضر

انا من المعجبين بتعقيباتكم التي تتسم بالشجاعة والجرأة في كثير من الاحايين ، وان تعقيبتكم الاخيرة « النقد محروم من جائزته » ، اثارت في نفسي أسى ولوعة مدارهما «أن المناصرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه» ، وفي ذلك مايهز الميزان الادبي ويجعله غير قويم ٠

وبهذه المناسبة اذكركم ايضا بجـــائزة شوقي الشعرية التي حجبتها لجنة الشعر بالمجلس الأعلى هذا العام ، وذلك دون ذكر الاسباب أو المبررات ٠

فهلا تفضيتم ياأخي السر الكامن وراء هذا الحجاب اللطيف الذي وضعته لجنة الشعر على النتاج المقدم الى الجائزة ، وكله دراسات نقدية وادبية لشــعراء معاصرين ٠

أنا في انتظار تعقيبة من تعقيباتكم تجلو الغامض وتكشف السر عن هذا الحدث الادبي العجيب حتى لاتردد في أسى ولوعة مرة أخرى هـــذه العبارات البريئة الجريئة «أن المناصرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه » ٠٠٠ والسلام ٠

احد المتبارين

بريد القراء

❋ «نوفل الاكبر» عبد البديع عبد الله بآداب عين شمس :

قصة رمزية تصور ثورة شعب ضد ملك طاغية حيث تبدأ حركة المنظمة داخل القصر ، فيستولي خدم القصر على كميات الاطعمة الضخمة ، وينطلقون بها الى الصحراء ، حيث كان الشعب يتكتل هناك على هضبة عالية ، تبدأ الاستعدادات لحرب اهلية بين حرس الملك وقوات الشعب الثائر ، تلجأ قوات الشعب الى الحرب النفسية بأن تلقى على قوات الملك بالمنشورات التى تشرح سبب الثورة ، وتنتهي القصة بانتصار الشعب ، ويجد الملك نفسه وحيدا وسط الصحراء ٠

● قصة لاباس بها ، اسلوبها جيد وان كان لا يخلو من غرابة وليس مألوفا تماما ، لكنه يتمشى مع موضوع القصة التى عولجت فى قالب رمزى ٠ الموهبة المتفتحة تبدو واضحة بين سطورك ، وتنتظر منك مزيدا من الاجادة ٠

❋ «لحظة قاتلة» سعدى امين حسن بالاقصر :

«سالم» يترنح ثملا على الطريق الزراعى ، ويمر ببيت عمه ، فيدفع الباب ويدخل ، يرى «زكيه» ابنة عمه مستغرقة فى النور ، فراح يتأمل تقاطيع جسمها الملفوف فى القميص الوردى المنقوش ٠٠ واغرته ساقاها البيضاوان الناعمتان ، فتحرك الحيوان الكامن فى اعماقه ، فهجم عليها واغتصبها ، ولم تقو هى على الاستغاثة خوفا من الفضيحة ، وفى الصباح ، قامت تعد الفطور وحملته الى اخيها فى الغيط ، وهى تتجنب عيون اهالى البلدة ، ولما وصلت الى اخيها ، وجدته يندب ويضرب راسه العارية ٠٠ وحوله الاهالى محتشدين ٠

تقدم أخوها نحوها بعيون جاحظة ، ورفع يديه نحو عنقها ، واقتربت اليدان المرتجفتان ، فاغمى عليها من الرعب ، بينما صرخ اخوها باكيا :

– البقية فى حياتك يازكيه ٠٠ سالم مات ٠

وكانت زكية ايضا قد فارقت الحياة ، فلم تسمع كلماته الهالعة ٠

● قصة لاباس بها، وان كانت فيها بعض المصادفات القدرية والالفاظ المكشوفة، كما ان شخصية المؤلف تتدخل بين السطور حينما يقول بالفاظ تقريرية ، «وخرج الشيطان الوقح السافل ٠٠» وهذا خطأ فى السرد ، والواجب أن يدع القارىء يستنتج هذه الصفات من خلال تصرفات الشخصية نفسها ، كما أن الاسلوب عموما لايخلو من عثرات لغوية لايجوز أن تخفى على أديب ، يتخذ الكلمة كأداة للتعبير عن افكاره ٠ على المؤلف أن يقرأ كثيرا بالفصحى حتى يستقيم اسلوبه ، وما عدا هذا فموهبته تبشر بخير ٠

❋ « حدث ذات ليلة » ياسين خليل الهيتى ببغداد :

قصة شاب يعيش مع أفكاره ، فيسير بها من الطفولة الى الشباب الى الساعة التى سيؤدى فيها الامتحان ليضع به حدا لايام التلمذة ، ويتوقف ليسعد امه ، وفجأة سمع بكاء وصراخا من أخيه الاصغر ، فيحاول أن يوقظ الام لترضعه ، لكنه يجدها قد فارقت الحياة ، فيقوم هو مرتبكا ليرعى الطفل المسكين الذى يذعن ويستكين ليد أخيه ٠

● الفكرة غير منطقية ، فان المؤلف لم يذكر اسبابا مبررة لموت الام المفاجىء ، لكنه أجاد رسم شخصية الشاب ، والاسلوب لاباس به ٠

❋ « الشتاء لا يرحم » محمد نديم بالقامشلى

غلام فقير يصف مشاعره حينما يرى زملاءه فى المدرسة يشترون الفطائر الساخنة ، وهو لا يجرؤ على الاقتراب من بائع الفطير رغم معدته الخاوية ٠٠ فجيوبه أيضا كانت خاوية ، ويمر بمخزن الحطب فيفكر فى امه واخوته الذين يفتك بهم البرد ٠٠ ويخطف بعضا من هذا الحطب الكثير ، لكنه يضبط ويضرب ويهان ، وعندما يعود الى داره ، يرى أخاه منطويا على نفسه فى صمت ، ويعلم منه أن أمه فى المقبرة ٠٠ ذهبت لتدفن اخاهما الصغير ٠

● صور ممتعة ، اجاد المؤلف فى تحليل شخصية الغلام المحروم ، وهى ليست قصة مترابطة الاحداث او ذات حدث متطور ، بل هى صور منفصلة تحكى يوما فى حياة صبى بائس ، وعلى العموم فهى قطعة أدبية جيدة الاسلوب والفكرة ، ستنشر قريبا ٠

صبحى الجبار

● **حول الأدب الجزائري :**

هذا مقال من الأديب : **فاروق يوسف اسكندر بملوى** ، يعرض فيه قضية جديرة بالاثارة والمناقشة فهو يذكر **أن مئات من الدراسات النقدية والترجمات عن الأدب الغربي ، التي تصدر في العالم العربي اليوم ، لا نكاد نلمس بينها دراسة حقيقية عن أدباء الجزائر** ، ويتساءل الأديب فاروق : هل نغض الطرف عن أدباء الجزائر لأنهم يكتبون بالفرنسية ؟ وهل نضيف الى مأساة اللسان المفقود والرطانة الغربية مأساة أخرى هي اعمالنا نقل أدبهم الى اللغة الأم؟ اذن فلماذا لا تفكر وزارة الثقافة عندنا في مشروع كبير لتغطية أدب الجزائر الذى أثبت انه ينهل من بيئة عربية ؟

ثم ضرب الأديب مثلا بشاعر الجزائر **مالك حداد** الذى ترجم ديوانه (الشقاء فى خطر) الى العربية أخيرا .

واود ان اقول للاديب **فاروق يوسف اسكندر** : ان اللائمة تقع اولا على المتصلين عندنا بالثقافات الغربية ، ولا نظن أن وزارة الثقافة تقصر في الاهتمام بالأدب الجزائرى ولا سيما بعد ان اصبحت الجزائر لبنة قوية في بناء الأمة العربية ، واذكر ان اديبا من علماء الجزائر هو الأستاذ **مالك بن نبي** قدم الى القاهرة منذ سنوات ، وترجم له زعماء بضعة وعشرين كتابا في القاهرة ودمشق وبيروت ، وقد طبعت مؤلفاته قبل ذلك في باريس ولقيت رواجا هناك ، ولو لم يقدر للأديب الجزائرى الحضور الى القاهرة بنفسه لظل أدبه أسيرا الى الأبد في فرنسا .

● **جولة مع عبد القاهر الجرجاني :**

تحت هذا العنوان ، جالت الأديبة : **مديحة عواد سلامة** في مقالها جولة مع الجرجاني في كتابه : (أسرار البلاغة) فتحدثت عن عكوف المؤلف ـ قبل تاليف كتابه ـ على كتب البلاغة والأدب ، وعن مميزات اسلوبه ومنها : الاتجاه العلمي ، والسجع بدون تكلف ، والاعتدال في استخدام الصور البيانية ، والتقسيم المنطقى للعبارة وتجنب الاستطراد ..

أن فى مقال الأديبة جهدا على الأقل ، ولكن منهجه مدرسي وليس فيه جديد لم يكتشف فى عبد القاهر الجرجاني ، والحديث عن مولده ونشأته وبيئته اضافة مكررة على موضوع المقال .

● **الاسكندرية تستعيد غابر مجدها :**

كتب الأديب : **السعيد بيومي الورقي ـ ليسانس آداب ـ بدسوق** ، مقالا تحدث فيه عن النهضة الأدبية والفنية في العاصمة الثانية ، فقد أنشيء هناك ناد للقصة يضم كتاب الثغر ، ومن اهدافه تشجيع المواهب الناشئة ومناقشة انتاجها ، وقبل ذلك أجريت تجارب ليأخذ مسرح التليفزيون الطابع الاقليمي ، وكان أن اختيرت فرقة من شباب الاسكندرية مثلت بنجاح مسرحيتى الحضيض لجوركي ، والقطرفات لتوفيق الحكيم ، وكيف ننسى مهرجان الشعر الذى يقام كل عام في الثغر

ويذكرنا الأديب بما للاسكندرية من ماض مجيد يوم أن كانت بجامعتها ومكتبتها القديمتين ملتقى الثقافات فى العالم بأسره ، ويوجه الأنظار الى ضرورة العناية بالبراعم التى تفتحت والتى سوف تتفتح على السواء من أبناء الثغر ، ويقترح المبادرة الى اصدار مجلة أدبية ترعى هذه البراعم أولا ، وترعى شئون الأدب والأدباء بالعاصمة الثانية ثانيا .

الحق أن هذا الكلام له وجاهته ، والمهمة ملقاة على أدباء الاسكندرية انفسهم ، وعليهم أن يكافحوا من أجل كيانهم ، وأن يقدموا من الانتاج الأدبى ما يكلل كفاحهم بالنجاح .

● **سيرة الرسل وطباعهم في القصص القرآني :**

وتحت هذا العنوان كتب الأديب : **عيسى متولى وكيل مكتبة بنك مصر** مقالا ضافيا ، تحدث فيه عن أن القصص القرآني يكشف لنا عن قوة موسى البدنية فحين استغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكزه فقضى عليه ، كما يكشف لنا عن ضعفه فى النطق ، وذلك حين قال : وأخى هرون هو أفصح مني لسانا .

ويكشف لنا القصص القرآني عن جمال يوسف وعفته ، وعن اجادة سليمان صناعة المهمات الحربية ، وعن براعة نوح فى صناعة السفن ، وعن بر وعطف ابراهيم ، أما محمد فيكشف القصص القرآني عن سمو خلقه ورفيع مثاليته .

الحق أن ما تناوله مقال الأديب المثابر عيسى متولى ، واعتبره كشفا ، انما دلت عليه ظواهر الآيات القرآنية ، وكنت أود أن يتعمق الأديب فى أبعاد القصص القرآني حتى يكتشف سمات أخرى للرسل ـ صلوات الله عليهم ـ وذلك يحتاج الى التحليل والتعمق فى البحث .

● **الشعرة البيضاء :**

تحت هذا العنوان بعث الأديب : **يعقوب حنا يعقوب بالادارة العامة للجمارك بالاسكندرية ، قصيدة مطولة جاء فى أبياتها الأولى :**

شعرة بيضاء لاحت
من مسام فى ذراعى
نظرت عينى اليها
فى امتعاض وارتياع
تنزعها أى انتزاع
وبدى الروث بها
يا ترى ماذا عرانى
ما دهانى ما الدواعى
ما الذى هيج سخطى
والذى أذكى التياعى
هذه الشعرة فى رأسى
لها ألف اجتماع
أنجم حفت بليل
وغزته فى ابتداع
كصباح فى شروق
أو كنار فى اندلاع

على الرغم من ان القصيدة ليست أبياتها سليمة من اختلال الوزن فى بعضها ، الا أنها مترابطة هدفا ومعنى ، والتشبيهات بعيدة نوعا عن التكلف ، وقد شابها بعض الأخطاء اللغوية ، فمصدر نزع نزع وليس انتزاعا ، وليس الزماع مصدرا لزمع بمعنى ثبت على الأمر وقد استعمله فى غير موضعه ، والمسام بتشديد الميم لا بتخفيفها ·

● **شاعر من العراق :**

هذا مقال كتبه تحت هذا العنوان الأديب **شاكر البرمكى سكرتير نقابة المعلمين بالنجف بالعراق** يلقى أضواء على الشاعر العراقى **(الحبوبى)** ، الذى اختزن فى أغوار نفسه كل ما وعى وأدرك من ارتياده نوادى الأدب ومحافل العلم ، حيث كانت مدينة النجف تزدهر بالمعارف ، وصار فيما بعد شاعرا فذا رقيق المشاعر ملتهب العواطف ·

كان الشاعر – **على حد قول الأديب – ذا رئاستين :** رئاسة العلوم الدينية ورئاسة الشعر العربى ، وقد تزعم المجاهدين واشترك فى نضال الاحتلال الانجليزى للعراق ابان الحرب العالمية الأولى ، وكان بارعا فى صناعة الشعر ، ذا باع طويل فى التريض ، وله ديوان طبع مرتين بالنجف وبيروت ، ويرى الأديب الكاتب أن الشاعر لم يهتز للأحداث التى أصابت دنيا العروبة والشرق مع انه قد شارك فى بعض هذه الأحداث كما لم ينظم فى الشئون الاجتماعية والاصلاحية والسياسية ، فاقتصرت أغراضه الشعرية على الغزل والنسيب والمديح والرثاء ·

الواقع أن فى مقال الأديب شاكر البرمكى – بالاضافة الى بعض الأخطاء اللغوية الواضحة – اضطرابا وتناقضا ، أو هكذا كان شعره المنسى ، فأى شاعر هذا الذى لم يعش – باعتراف الأديب – أى تجربة شعورية حقيقية فى نظم الشعر ، لأنه عاش فى بيئة دينية محافظة ، لم يعرف واحد من أفرادها بشائنة ، ثم يقصر شعره على الغزل والنسيب ، ثم يقود المجاهدين ولا يتفاعل مع الأحداث السياسية ؟

● **آهة زنجى :**

وهذه قصيدة للأديب : **عبد الصبور منير بدسوق** تناول فيها قضية التفرقة العنصرية ، ومأساة السود فى هذا العالم المتحضر ، من هذه القصيدة :

أخى الام يطول المسير
بنا وهذى الجموع تجور
سنخرج منها كما قد أتى
أخو الأعراب بشروى نقير
أخى سوف نذوى كما قد ذوت
زهور الربيع ولسنا زهور
فهلا قطعنا الحياة معا
ونمضى سويا تجاه القبور

الحق أن اضطراب الوزن يكاد يشمل معظم أبيات القصيدة ، والتركيب اللغوى لم ينل شيئا من دقة الشاعر ، ولعل شعر الشاعر محاولة نرجو أن يبذل لها جهدا أكبر فى مستقبله ·

● **ذكرى :**

وتحت هذا العنوان بعث الأديب **عزت حماد منصور** بقصيدة معدودة الأبيات جاء فيها :

ذكرتك فانسابت دموعى على الخد
وذاب فؤادى من صدود ومن وجد
سأبكيك بالدمع الهتون واننى
لأسكب من قلبى الدماء عسى تجدى
أنوح على الماضى السعيد ومابه
وأندب أياما ذهبن بلا عد

ليست معالم الذكرى واضحة فى قصيدة الشاعر ، واختلال الوزن قد تسلل الى بعض أبياتها ، واذا كنا نشتم من القصيدة هجرا قد وقع ، فان فى أغراض الشعر اليوم ما هو أسمى وأجدر بالاهتمام ·

ابن المقفع

قصة العدد المنقذة

بقلم : حبيب الزحلاوى

« يوسف الحسن » اسم أطلقته جماعة من الأدباء والفنانين على زميل لهم ليس له من الحسن الا اسمه، ولا من روح الادب والفن الا الكلمات والمعانى التى تدور على السنة هذه الجماعة التى كانت تضمها قهوة متواضعة قريبة من دور المسارح والصحافة والمشارب ٠

لم تكن هذه الجماعة كلها من الجنس الخشن بل كانت الممثلات والراقصات يؤنسن المجلس بأنوثتهن، ويحلينه بجمالهن ، ويفرحنه بضحكاتهن ، ويشاركن فى الحديث الذى كان اكثره يدور حول المسرح والتاليف المسرحى ٠

وكان يخيل لمستمع كلام هذا اليوسف الحسن بصوته العالى وكيف كانت العيون تنجذب اليه ان رايه هو الصواب ، وقوله هو القول الفصل ، ولكن صوته العالى لا يكاد ينكتم حتى تنفجر الضحكات والقهقهات وتعلو الصيحات وانت لا تدرى اهل هى ضحكات استهانة واستخفاف او استحسان وتوقير، اما الجنس الناعم فى الجماعة فقد كنت تراه مشرأب الاعناق ، منجذب النظر ، ماخوذا بحركات حاجبى هذا اليوسف الحسن ، وبحدقتى عينيه تميلان شمالا ويمينا ، وبجفونه تغمض وتفتح وفق ضرورة الكلام، وبعنقه الذى يطول ويقصر للتاكيد والتاثير وبأنفه الضخم الذى يصعب معرفة عرضه العريض من طوله الطويل وورمه وانتفاخه ٠

كانت لهذا المخلوق مكانة عند هذه الجماعة ولكن تقديرها يختلف عند الجنسين الناعم والخشن ٠٠ كان يوده الرجال لخفة فى روحه ، وحضور ذهنه ، واطلاقه النكتة بارعة بالذكاء والفهم ، ولمعرفته الواسعة باكثر ما فى كتب الادب القديم من مفارقات ادبية وملح طريفة ونواسيات مكشوفة ، ولحفظه جميع ما ورد فى قصص شهر زاد فى كتاب ألف ليلة وليلة غير المهذب ٠ أما السيدات فقد كن يستلطفنه وينجذبن اليه لسبب آخر من به ادرى واعلم ؟!

لقد عز على الذكور من هذه الجماعة التقيد باسم اطلقه الجنس اللطيف على هذا المخلوق البعيد عن الحسن ، القريب من الدمامة فاسميه «سيرانو» وقد رضى المسمى بالاسم لدلالته على ما فيه من تشابه ببطل رواية «سيرانو دى برجراك» الفرنسية المشهورة صاحب الانف الضخم ٠

وكان اذا خلا مجلس الجماعة من الجنس اللطيف كنت تسمع من السيد «سيرانو» العجيب من أحاديثه، والغريب المستهجن من حكايات مغامراته وغزواته الغرامية ، وكان يعز عليه تسميتها بالغزوات لانه هو كان المغزو بمطلق ارادته وبمحض اختياره ، وكانت الجماعة تضحك من عريض ادعائه وترميه بالمغالاة ٠ ولكنه ثبت للطلعة منها بأن اخباره صحيحة وان للنساء المحصنات كما للممثلات والفنانات ميولا بعيدة عن منطق الرجل فى فن الجمال وعن تقديراته للامور الجنسية والذوق النسوى ٠

كان ذواق المعرفة من الجماعة يفلسفون مغامرات السيد سيرانو واحداثه الغرامية فيقولون مثلا ان الرجل القصير القامة يميل الى المرأة المشوقة البادية الطول يتمم به قصره الظاهر ، وانه على هذا القياس تميل المرأة المليحة ومتوسطة الملاحة الى رجل دونها تمتع نفسها بالتباهى الذاتى بملاحتها نسبيا، ومنهم من كان يرجع الامر الى أنفه الضخم العريض الطويل وما يلابس تلك الضخامة من المعانى ؟

اخذت زيارات « سيرانو » لندوة الجماعة تقل تباعا ، وبدت الجماعة من الجنسين تتفقد اخباره وتستطلع اسباب انقطاعه عنها ، وكان الجنس اللطيف فيها اكثر قلقا على غيابه واوفر رغبة فى السؤال عنه والوقوف على أمره ٠

وحدث ذات ليلة ان حضر صاحبنا وكانت الندوة خالية من الجنس الناعم ، يعلو وجهه الشحوب وتنبيء نظراته عن معانى الكدر والهم ، فاخذت الاسئلة تنهال عليه والاستفهام منه عما اعتراه حتى ضعف وهزل وغاضت ضحكاته فاجاب بقوله «لا أراكم الله مكروها » ٠

لم يمت أبوه ولا امه ، ولم يصب اخ له او اخت بما يكره ، ولا هو يشكو من مرض او علة ولا نكب بضياع مال او افلاس،انه أصيب بحب فتاة لا تبادله هذا الحب ، وهى ترضى بصداقته فقط ، لا لانه دميم متفربل لانه ظريف يضحك يسلى النفس بتفاهاته ويفرحها بنكاته السخيفة ، وهى على كل حال لا تنكره اطلاقا ولا تشجعه على حبه الجنونى ٠ فى حين ان اختها ، وهى اصغر منها سنا ، واوفر فتوة وتضجا وابهى طلعة تتصدى له تصدى الراغب،

وهي تعتب على اختها تصرفها القاسي في معاملتها الظالمة لشاب يحبها ، وكان المسكين يتنهد بحرقة ويبكي .

طاب للبعض من الجماعة ان يسخر من حبه وان يذكره بمغامراته ونزواته ويعيب عليه الزلاقه في مهاوى الحب وصدور المحبين ، وهو الحظى لكل مشلة وفتالة ، فكان يردهم عن الكلام برفق ويرجو منهم احترام الحب والرفق بالقلب العاشق ويقول : ان الحب العابد كالقدمين الصغيرتين تخبان في حذاء واسع ومن الظلم ان يسمى حبا ، وان الرجل الذى تقتنصه امراة ، والمراة التي يقتنصها رجل انما هما سيجارة يقتسمانها ويلقيان بها في الارض ، اما الحب المقدس فهو شعور بتحقيق الذات ، واحساس بالرجولة ، ورغبة في بناء اسرة ، وسعادة برفيقة عمر ، وبه تتم الغاية من الوجود .

طال عذاب هذا الحبيب غير المحبوب ، واحتمل المسكين كل ما يقاسيه العاشق من قلق وسهاد ومن ذل الحب وانكسار النفس .

وفي ذات ليلة اقبل السيد « سيرانو » على ندوة الجماعة التي كادت تنساه لطول غيابه فاستقبلوه بالتهليل والترحاب وفرحوا بمقدمه خصوصا وقد زال شحوب وجهه وهزال جسمه وراحوا يمطرونه بالاسئلة ويلحون عليه بالاجابة فقال : أولا لا اراكم الله مكروها وهل ثمة يا أصحابي من مر كربه اشد من مرارة الحب ولكن ... اي حب تظنون ؟

الحب في ذاته على تعدد أنواعه سعادة وغبطة ، اما الحب الجارف المجتاح الذى يقبل فجاة ، ينقض كالصاعقة ، يداهم المرء أو المرأة ، مرة واحدة في العمر ، ان في سن الشباب أو سن الكهولة والشيخوخة ، هذا الحب الجارف هو الحب الذى يحمل اللذة موشاة بالالم ، والسعادة مغلفة بالشقاء، والغبطة مبتلة بالدموع ، هذا الحب الرحيم الرجيم يعيش ، إن عاش ، ويموت فهو هو الحب القاتل وكثيرا ما يدفع المبتلى به الى هاوية الانتحار .

كانت الجماعة تصغى لكلام هذا المجرب الخبير بمسارب الحب ومسالكه . منجذبة نحوه راغبة في سماع كل مايقال فيه لانه يمثل الحياة ، وقد تنبهت اذهانها وتفتحت عيونها حين سمعته يقول ، لقد رفعت زجاجة السم بيدى وكدت افرغ السائل القتال في حلقى لولا يد كريمة افسدت اندفاعى نحو الموت بقوة فاقد الارادة مسلوب اللب .

كيف تم ذلك ؟؟ سؤال انقذف من أكثر من فم دفعة واحدة أجاب عليه بقوله :

لقد غصت في حماة حب تلك الفتاة الى العنق ، كنت أحس انى كغريق الرمل ، كلما تحركت للخلاص يزداد غوصى ، تذللت للحبيبة . وقعت على يديها فردتنى عنها بقسوة وعنف ، أنشدتها قصائد الحب منسوجة من خيوط قلبي مكتوبة بدمائه فكانت تضحك من تفاهتى ، لقد اغرقتها بالهدايا والقول الحسن فكان لا يرضيها منى سوى انى مسخرة ضحاك ، قلت انى سافرحها بحديثى ونكاتى وافعل كل ما يدخل السرور على قلبها ويفرحها فكانت تقول انى لا أصلح الا لاضحاك الناس ، قلت لها انى ساشرب السم لحب حبى لها ، الحب الذى لا يماثله أو يساويه سواه فقالت وهي تفرك كفيها « افعل . افعل ، ان هذا المنظر جميلا يريني كيف تتلوى من الالم وتتمرغ في الارض فعندها قد اتصدق بنظرة عطف عليك ، كنت استمع لكلامها يدل كبريائى ، ويدوس كرامتى ويقطع نياط قلبى فاستعذبه لانها هى قائلته .

كيف أجبن عن تجرع كاسي وهو سم زعاف يوردنى هلاكا يسر ناظر حبيبتى ويفرح قلبها ؟؟ لقد رفعت يدى وقد لمس فم الزجاجة المليئة بالسم فمى ... في تلك اللحظة هوت يد من الوراء على يدى فاطاحت بزجاجة السم ... وفي تلك اللحظة سمعت في آن واحد شهقة حادة وضحكة حادة ايضا ، اما الشهقة فقد كانت من اخت من كنت متيما بحبها وهي التي هوت بيدها الكريمة على الزجاجة فاسقطتها وقد تطاير منها بعض نقط كوت كفها واصابعها . اما الضحكة الحادة فقد كانت ضحكة الفتاة التي شفيت من داء حبها ونجوت في اللحظة الاخيرة من حبها القاتل .

ان لابتسامتك الخفيفة يا سيد سيرانو تخفى وراءها معنى ان حكاية حبك لم تبلغ نهايتها بعد فيحسن الا تكتمها عنا أيها الهارب من الحب والموت .

صدقت في قولك هذا يا صديقى فانى ما كدت اصحو من سكرة الحب وانجو من الموت ، واحس برجولتى كانسان له ارادة وقوة ومعرفة ، ادركت أن الحياة اغلى من ان يهدرها حب طارئ، حتى عزمت على الزواج من فتاة جمالها في قلبها لا في وجهها وقدها وقد وجدت الفتاة التي دفعتنى عن الانتحار ووهبتنى الحياة والحب .

الدار القومية للطباعة والنشر